موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

الإسلام منهج حياة

د.محمد راتب النابلسي

اقرأ

قناة إقرأ الفضائية

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

الدرس (01-30) : علاقة الإنسان بمن حوله 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أرحب بكم أجمل ترحيب في برنامجنا الجديد : "الإسلام منهج حياة".

نستضيف في هذا البرنامج فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي ، أهلاً وسهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاكم الله خيراً .

الأستاذ جميل :

بداية البرنامج نسج حول الإنسان ، الذي تميز عن كل المخلوقات بالتكريم والاختيار ، ونود منكم فضيلة الدكتور إلقاء الضوء على هذا الكائن المتميز ، ودائرة سعادته ، ما هي الأساسيات التي يطلبها الإنسان العاقل ؟.

الأساسيات التي يطلبها الإنسان العاقل :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

أستاذ جميل ، الإنسان هو المخلوق الأول ، والمخلوق المكرم ، والمخلوق المكلف، هو في حقيقته عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، وغذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، والإنسان جُبل أو فُطر على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، أي إنسان كائن من كان من آدم إلى يوم القيامة ، جُبل على حبّ وجوده ، صرح بهذا أو لم يصرح ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده.

الاستقامة على منهج الله تحقق للإنسان سلامة وجوده :

النقطة الدقيقة أن الاستقامة على منهج الله تحقق له سلامة وجوده ، و النقطة الثانية أن الاستقامة لا تعني السعادة ، ولكنها تعني السلامة ، لأن الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة بالغة التعقيد تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز ، لهذه الآلة صانع حكيم ، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة ، فالجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها هي الجهة الصانعة ، والإنسان ولو بدافع من حبه لذاته ، أو حبه لسلامته ، ينبغي أن يطيع الله عز وجل، لأن العلاقة بين الطاعة وبين النتائج علاقة علمية أي علاقة سبب بنتيجة ، ولأن العلاقة بين المنهيات والنتائج علاقة علمية أيضاً ، فالإسلام منهج موضوعي ، لو أن الطرف الآخر ، أو لو أن إنساناً لا يؤمن بالدين أصلاً أخذ بهذا المنهج لقطف كل ثماره في الدنيا ، بينما المؤمن يقطف ثماره في الدنيا والآخرة ، فقد جُبل الإنسان على حبّ وجوده ، وعلى سلامة وجوده ، أما كمال وجوده يحتاج إلى عمل صالح ، قال تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾

(سورة الكهف الآية : 110)

حينما يبذل الإنسان من ماله ، من وقته ، من علمه ، من خبرته ، من جاهه ، حينما يعيش للآخرين ، حينما يحمل همّ أمته ، حينما يسهم في حلّ مشكلاتها ، حينما يسهم في إسعادها ، حينما يقدم لربه الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، عندئذٍ يسعد يسلم باستقامته على أمر الله ، ويسعد بالعمل الصالح ، قال تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾

أما استمرار وجوده ، الإنسان له عمر ، ويموت ، لكن حينما يربي أولاداً ليكونوا خلفاء من بعده ، يكون قد حقق استمرار وجوده ، فالله عز وجل يُطمئن هذا المؤمن ويقول له :

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

(سورة الطور)

أية سعادة تتحقق لهذا الإنسان حينما يضمن سلامة وجوده لاستقامته على أمر الله؟ وحينما يضمن سعادته الكبرى بالعمل الصالح ، وحينما يضمن استمراره بعد موته من خلال أولاده ، هذه جبلة الله عز وجل ، والفطرة التي فُطر الناس عليها كائناً من كان ، في كل زمان وفي كل مكان .

الجهل أعدى أعداء الإنسان والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به :

لذلك الإنسان حينما يجهلُ يجهل أسباب سلامته ، وسعادته ، قد يسأل سائل سؤالاً دقيقاً : ما دام الإنسان قد جُبل على حبّ وجوده ، وحبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، لماذا يكون الشقاء في الأرض ؟ الشقاء سببه الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

الأستاذ جميل :

دكتور أين هي السعادة في التكاليف ؟ افعل ولا تفعل ، ألا يعكر صفو السعادة الأمر والنهي ، الترغيب والترهيب؟.

الدين جاء لإسعاد البشر وحلّ مشاكلهم :

الدكتور راتب :

والله الذي أراه أن الدين إنما جاء لإسعاد الناس ، وأنا أقول لك الآن بكل صراحة : أنا يعنيني من الدين أن تحل مشكلتي مع أسرتي ، ومع أولادي ، من خلال تطبيق منهج الله ، يعنيني من الدين أن أسعد مع ربي ، أن أعرفه، أن أستقيم على أمره ، أن أُقبل عليه ، يعنيني من الدين أن تكون علاقتي مع الخلق علاقة رائعة ، علاقة تفاهم وتعاون وعلاقات إيجابية ، يعنيني من الدين أن أنجح في عملي ، يعنيني من الدين أن أنجح مع صحتي ، فحينما يكون هذا الدين داعماً لهذه الكليات الكبيرة في حياة الإنسان ، الكلية الأولى: علاقته بربه ، والكلية الثانية: علاقته بأهله وأهله ، والكلية الثالثة : علاقته بمحيطه ، بمن حوله ، من جيران ، من أصدقاء ، من زملاء ، من أقرباء ، أو من عامة البشر ، أو من أعداء ، هناك علاقات نموذجية ، ويعنيني من الدين أن أنجح بعملي ، شرف الإنسان عمله منه يرتزق ، ويعنيني من الدين أن أعيش حياةً أتمتع بها بصحة طيبة .

لذلك عنوان هذا البرنامج "الإسلام منهج حياة" ، فهذا الإسلام تعليمات الصانع ، بنجاحك مع ربك ، ومع أسرتك، ومع أقاربك ، ومن حولك ، ومع عملك ، ومع صحتك فهذا الدين الذي يسعد الإنسان ، هناك قضايا في الدين لا تعد ولا تحصى ، لا تعنيني لا من قريب ، ولا من بعيد ، أية قضية لا يبني عليها حكم شرعي لا قيمة لها في البحث والدرس ، نريد ديناً هو دين الحياة ، نريد ديناً هو دين السلامة ، دين السعادة ، دين التألق في العمل ، دين التألق في الصحة، لعل الله سبحانه وتعالى يوفقنا في هذه الحلقات القادمة ببيان وجهة نظر الدين في هذه الكليات الخمس ، العلاقة مع الله ، والعلاقة مع الأهل والأولاد ، والعلاقة مع الأقارب وبقية الناس ، والعلاقة في العمل ، والعلاقة مع الصحة .

الأستاذ جميل :

دكتور ، ينظر الفقير إلى الغني نظرة يظنه أسعد الناس ، وكذلك ينظر الضعيف إلى القوي فيحسبه الأوفر حظاً، والسؤال هنا أين مكان السعادة والحظوة ؟ وكيف السبيل إليها ؟.

سعادة الإنسان تأتي من استقامته على أمر الله عز وجل :

الدكتور راتب :

قيل : إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال ، للكثيرين من خلقه ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، في النفس فراغ لا يملأه إلا الإيمان بالله ، في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، في النفس حاجة إلى معرفة الله ، حاجة إلى أن يرى منظومة فكرية تقدم له تفسيراً صحيحاً ، واقعياً ، عملياً ، عميقاً ، متناسقاً ، للكون ، والحياة ، والإنسان ، تقدم له تفسير ظواهر كبرى للحياة ، ظاهرة المرض ، ظاهرة الفقر ، هذه ظواهر نعيشها جميعاً ما تفسيرها ؟ ما تعديلها ؟ ما حكمتها ؟ الدين قدم للإنسان أروع تفسير شمولي ، عميق ، دقيق ، متناسق لكليات الكون ، والحياة ، والإنسان .

فلذلك الإنسان أعقد آلة في الكون ، فحينما يكون الإنسان على منهج ربه فيسلم ويسعد ، وهذا هو الهدف من هذا البرنامج إن شاء الله ، أن نقدم للأخوة المشاهدين ما في الدين من توجيهات رائعة تحقق للإنسان نجاحاته كلها . ذلك لأن الإنسان لا يسمى ناجحاً في الحياة إلا إذا نجح نجاحاً شمولياً ، فالذي ينجح في تحصيل مالٍ وفير ، ويهمل أهله وأولاده ، لا يعد ناجحاً ، والذي ينجح في بيته ولا ينجح في عمله لا يعد ناجحاً ، والذي ينجح في كليهما ولا ينجح في صحته لا يعد ناجحاً .

فأنا أنطلق في هذا البرنامج إن شاء الله من أن النجاح لا يعد نجاحاً إلا إذا كان شمولياً .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

إذاً النجاح نجاح شمولي وليس جزئياً ، جزاكم الله خيراً دكتور وأحسن إليك ، مشاهدينا الأعزاء شكراً على متابعتكم ، نلقاكم في حلقات أخرى ، أستودعكم الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (02-30) : علاقة الإنسان بمن حوله 2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامج : "الإسلام منهج حياة".

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور ، جاءت الأوامر الإلهية نظاماً متكاملاً حتى شبَّه النبي ﷺ عمله وعمل الأنبياء من قبله كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وجملها ، ما هو خط السير الذي وضع للإنسان حتى يسير عليه في حياته فيسعد ويكون من الراضين المرضيين ؟.

معرفة الله أصل في نجاح الإنسان :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ جميل كأنني أتمنى أن أوضح معالم هذا البرنامج ، وأبعاد هذا البرنامج فالذي انطلقنا منه أن هذا الإنسان أعقد آلة في الكون ، وتعقيده تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز ، ولهذه الآلة بالغة التعقيد صانع حكيم ، عليم ، عظيم، ولهذا الصانع الحكيم العليم العظيم تعليمات التشغيل والصيانة ، فالإنسان انطلاقاً من حبه لذاته ، ومن حرصه

على سلامته ، ومن رغبته في سعادته ، يطبق تعليمات هذا الصانع العظيم ، خالق السماوات والأرض رب العالمين .

لذلك انطلقنا في هذا البرنامج من أن علاقة الإنسان بربه تكون بمعرفته أولاً ، وبحمل نفسه على طاعته ثانياً ، وعبادته ثالثاً ، والتقرب إليه بالعمل الصالح رابعاً ، عندئذٍ تسلم هذه النفس وتسعد ، وتتصل نعم الدنيا بنعم الآخرة.

فلذلك أول فقرة ، أو لنسميها محطة ، أول محطة من محطات هذا البرنامج الذي أرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لتوضيح معانيه الدقيقة ، وأبعاده الطليقة ، أننا جعلنا المحطة الأولى في هذا البرنامج علاقة الإنسان بربه، معرفة ، وعبادة ، وطاعة في التفاصيل وتقرباً إليه ، من أجل أن نسلم ونسعد ، لأن كل إنسان جبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، نعرفه من آياته الكونية خلقه ، ومن آياته التكوينية أفعاله ، ومن آياته القرآنية كلامه ، أما المنهج فقد جاء في القرآن الكريم ، وبيّنه النبي المصطفى عليه أتم الصلاة والتسليم ، هذه المحطة الأولى .

فإنك إن عرفت الله عرفت كل شيء ، وإن غابت عنك معرفة الله غاب عنك كل شيء ، ولعل معرفة الله أصل في نجاح الإنسان ، إن كان هناك فصول في حياته فنجاحه في فصل معرفة الله أصل كل نجاح ، وسبب كل نجاح .

النجاح لا يكون نجاحاً إلا إذا كان شمولياً :

أما المحطة الثانية : أهله وأولاده أقرب الناس إليه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾

(سورة التحريم الآية : 6)

كيف تكون العلاقة بالزوجة علاقة ناجحة ؟ علاقة حب ؟ علاقة وئام ؟ علاقة نصح ؟ علاقة تعاون ؟ علاقة تفاهم ؟ علاقة سلامة ؟ علاقة سعادة ؟ هناك منهج ، منهج من عند خالقنا ، لأنه خبير .

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)

وسوف نقف في محطة ثانية في العلاقة الزوجية متى تكون مسعدة ؟ متى تصحح؟ متى تعالج ؟ لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم الآية : 21)

فالمودة والرحمة من خلق الله عز وجل ، وهذا هو الأصل ، فهناك أسباب للسعادة الزوجية ، وهناك أسباب للشقاء الزوجي ، وسوف نقف في المحطة الثانية ملياً إن شاء الله نتحدث عن أسباب السعادة ، وعن أسباب الشقاء ، نأخذ بأسباب السعادة ونبتعد عن أسباب الشقاء ، هذه المحطة الثانية .

في هذا البرنامج ننطلق قبل أن أتابع من أن النجاح لا يكون نجاحاً إلا إذا كان شمولياً ، أنا لا أصدق أن ينجح الإنسان في كسب ماله ولا ينجح في بيته ، أو أن ينجح في بيته ولا ينجح في عمله ، أو أن ينجح في بيته وعمله ولا ينجح مع صحته .

فالآن المنطلق الجديد في النجاح ، النجاح لا يكون نجاحاً إلا إذا كان شمولياً .

المحطات الكبرى في النجاح :

1 . علاقة الإنسان بربه :

بدأنا في المحطة الأولى في معرفة الله ، وطاعته ، وعبادته ، والتقرب إليه .

2 . علاقة الإنسان بأهله و أولاده :

ثنينا في المحطة الثانية علاقته بأهله وأولاده ، فالإنسان حينما يربي أولاده تربية إسلامية يسعد بهم ، ويسعدون به، بل إن الله عز وجل يقول :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(سورة الطور الآية : 21)

قال علماء التفسير :

﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ﴾

أعمال ذريتهم ، كل أعمال ذراريهم إلى يوم القيامة في صحيفة الآباء والأمهات .

3 . علاقة الإنسان بعمله :

أما المحطة الثالثة : الإنسان له أهل ، له أقارب ، له جيران ، له أصدقاء ، له زملاء ، هناك عامة الناس كيف تكون العلاقة مع هؤلاء ناجحة ؟ كيف أسعد بمن حولي ؟ كيف يسعد بي من حولي ؟ هذه محطة ثالثة ، فضلاً عن محطته معرفته بالله وعنايته بأهله وأولاده ، الآن أن تكون علاقته طيبة مع من حوله .

((إياكم وفساد ذات البين فإنها الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر))

[من الجامع الصغير عن الزبير بن العوام]

4 . علاقة الإنسان بمن حوله :

أما المحطة الرابعة : الحقيقة هذه المحطة قد تبدو بعيدة عن محور برنامجنا ولكنني أراها من أشد المحطات لصوقاً بالبرنامج .

مسلم يعيش العصر الحديث ، هناك حروب ، و اجتياحات ، و ظلم في العالم لا يعلمه إلا الله ، قال عليه الصلاة والسلام :

((تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً))

[ابن ماجه عن عبد الله بلفظ قريب منه]

يوم يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ، ولا يستطيع أن يغير ، دول تُحتل ، ثروات تُنهب ، شباب يقتلون ، الدماء تسفك كل يوم بالمئات ، بالألوف ، المسلم كيف يفسر هذا ؟ لا بد من التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

أنواع الجهاد :

ولا بد من أن يعلم علم اليقين ما الجهاد ؟ هناك جهاد نفسي ، جهاد النفس والهوى، وهناك جهاد دعوي :

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾

(سورة الفرقان)

وهناك جهاد بنائي :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 60)

وهناك جهاد قتالي ، إذاً في الموضوع الذي سميناه الشأن العام ، موضوع الجهاد، موضوع النصر ، موضوع التوحيد ، موضوع . قد يبدو العنوان غريباً . المستحيلات ، أي مستحيل وألف ألف مستحيل أن يسمح الله لأمة قوية ، جبارة ، طاغية ، أن تنجح خططها على المدى البعيد ، مستحيل وألف ألف مستحيل أن يتخلى الله عن عباده المؤمنين .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 36)

هذه المحطة الرابعة .

5 . علاقة الإنسان بالشأن العام :

لكن المحطة الخامسة هذا الجهاد ، وذاك النصر ، يجب أن يتوج بالدعوة إلى الله، لأن الله عز وجل اختار هذه الأمة لتكون وسيطة بينه وبين عباده ، فكيف ندعو إلى الله ؟ ندعو بالقدوة قبل الدعوة ، وبالإحسان قبل البيان ، وبالأصول قبل الفروع ، وبمخاطبة القلب والعقل معاً ، ندعو إلى الله بالمضامين لا بالعناوين ، بالمبادئ لا بالأشخاص ، هناك قواعد رائعة سوف نفصلها إن شاء الله في محطتها : محطة الدعوة إلى الله .

ولكن هذا الإنسان يكسب رزقه من عمله ، فكيف ينجح في عمله ؟ كيف يسلم في عمله ؟ كيف يكون عمله عبادة ؟ بالمنطلق الأساسي عمل الإنسان الذي يرتزق به إن كان في الأصل مشروعاً ، وسلك به الطرق المشروعة ، وابتغى به كفاية نفسه وأهله ، وخدمة الناس، ولم يشغله عن عبادة أو عن واجب ، أصبح عبادة لله عز وجل .

لذلك قالوا : عادات المؤمن عبادات ، وعبادات المنافق سيئات ، هذه محطة سادسة العمل الذي ترتزق منه .

6 . علاقة الإنسان بصحته :

وأما المحطة السادسة محطة الصحة ، هناك الطب النفسي ، هناك الطب الطبيعي، وهناك الطب الوقائي ، وهناك الطب العلاجي ، لأن الإنسان مرتكز لنفسه ، والوقت وعاء عمله ، أن يمضي العمر لا طريح الفراش ، بل قائماً على قدميه ، وسائل الرياضة ، وتنظيم الغذاء والمتابعة للأمور الصحية ، هذه لا تطيل العمر في عقيدة المسلمين ، ولكنك تعيش هذا العمر نشيطاً ، معطاءً ، تستطيع أن تحقق ذاتك في هذا العمر .

فلذلك يمكن في هذه المحطة الأخيرة أن نتحدث ملياً عن الطب الطبيعي ، وبذل الجهد مع راحة النفس ، وكأن أجدادنا حياتهم كانت شاقة ، وكانوا يتمتعون بعلاقات إنسانية رائعة ، وهذا سبب صحتهم ، بينما أهل هذا الزمان راحة ما بعدها راحة ، كل شيء جاهز ، وشدة نفسية ما بعدها شدة .

ولعل مؤتمراً عقد في أوربا يؤكد أن الكسل العضلي ، والشدة النفسية ، وراء تفاقم أمراض العصر ، فنحن في محطة علاقتنا بالله جلّ جلاله ، ومحطة علاقتنا بأسرتنا وأولادنا ، ومحطة علاقتنا بمن حولنا ، ومحطة علاقتنا بالشأن العام ، ومحطة علاقتنا بأعمالنا التي نرتزق منها ، ومحطة أخيرة علاقتنا بصحتنا .

وهذا البرنامج بهذه الأبعاد وتلك المحطات أسأل الله سبحانه وتعالى أن نوفق لتوضيح دقائقه ، وجزئياته ، وبيان أبعاده .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

إن شاء الله ، إذاً هي محاور ومحطات نسعى في هذا البرنامج إلى أن نلقي الضوء عليها مع فضيلتكم ، شكراً لكم فضيلة الدكتور ، شكراً لك أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (03-30) : علاقة الإنسان بالله 1 : الأمانة

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم في برنامجنا :"الإسلام منهج حياة ".

ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، هناك مقولة : "من عرفه نفسه عرف ربه" ، من هو هذا الإنسان؟ نريد التعرف عليه لننطلق إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى ؟.

الإنسان هو المخلوق الأول رتبة لأنه قَبِل حمل الأمانة :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل الإنسان هو المخلوق الأول رتبة ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾

(سورة الأحزاب الآية : 72)

أي على كل الخلائق .

﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾

(سورة الأحزاب الآية : 72)

قال : أنا لها يا رب ، وقَبِل حمل الأمانة ، فلما قَبِل حمل الأمانة كرمه الله عز وجل أعظم تكريم ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

(سورة الإسراء)

أنا أريد أن أبين لأخوتي المشاهدين أنه لأنك من بني البشر فقط ، لأنك من بني البشر ، ذكر كنت أو أنثى ، فأنت المخلوق الأول عند الله ، يؤكد هذا المعنى الإمام علي رضي الل عنه حيث يقول :

" ركب الملك من عقل بلا شهوة ، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل ، وركب الإنسان من كليهما . الآن موطن الشاهد . فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان " .

الإنسان عندما قَبِل حمل الأمانة سخر الله له مَا فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الْأَرْض :

الإنسان إما أن يكون خير البرية قاطبة ، أو أن يكون شر البرية قاطبة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾

(سورة البينة)

فالإنسان لأنه قَبِل حمل الأمانة في عالم الأزل يوم عرضت على الخلائق جميعاً

﴿ **فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا** ﴾

الإنسان قَبِل حملها ، وقال : أنا لها أهل يا رب ، ولما قَبِل حمل الأمانة سخر الله له :

﴿ **مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ** ﴾

(سورة الجاثية الآية : 13)

ولا شك أن المسخر له أكرم من المسخر ، فلذلك الإنسان هو المخلوق المكرم .

﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ** ﴾

(سورة الجاثية)

تكريماً لهذا الإنسان ، هو الأول ، وهو المكرم .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هو الأول رتبة إذاً تقدم على الملائكة ، هل لي بسؤال ؟ هذا الإنسان الذي قَبِل حمل الأمانة ، من المقصود بهذه الأمانة التي حملها بالقِدم ؟ آدم عليه السلام .

التزكية ثمن الجنة و الناس جميعاً قبلوا حمل الأمانة :

الدكتور راتب :

لا ، بنو البشر جميعاً ، نحن جميعاً خلقنا في عالم الأزل بنص الآية الكريمة :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾

وهذه الكلمات الثلاث تعني الكون كله ، والكون كله ما سوى الله ،

﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

مثلاً : لو أن أباً غنياً قال لأولاده جميعاً : من منكم يقبل أن يذهب ويدرس ويأتي بدكتوراه أما إن لم تذهبوا لكم عندي دخل محدود ، وبيت ، وزوجة ، أما الذي يذهب ويأتي بدكتوراه أعطيه نصف المعمل ، هناك عرض .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

أي قبل حمل الأمانة ، والأمانة نفسه التي بين جنبيه ، بعهدته ، بأمانته .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

(سورة الشمس)

فالذي يزكي نفسه بتعريفها بربها ، والذي يزكي نفسه بحملها على طاعته ، والذي يزكي نفسه بالأعمال الصالحة، والذي يزكي نفسه بالإقبال على الله ، هذه التزكية هي ثمن الجنة ، جاء الله بنا إلى الدنيا كي نعد ثمن الجنة ، وثمن الجنة التزكية .

الفلاح و النجاح :

لذلك كلمة

﴿ أَفْلَحَ ﴾

أتت مرات ثلاث فقط في القرآن ،

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

دنسها بالمعصية .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

(سورة المؤمنون)

فهذه كلمة الفلاح تعني النجاح مع الله ، أما النجاح تعني النجاح في الدنيا ، قد ينجح الإنسان في كسب المال ، قد ينجح في اعتلاء منصب رفيع ، هذا نجاح في الدنيا فيسمى تحقيق الأهداف في الدنيا نجاحاً ، أما تحقيق الأهداف الكبرى التي خلق الإنسان من أجلها تسمى فلاحاً ،

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾

(سورة الأعلى)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

فالإنسان هو المخلوق الأول ، والمخلوق المكرم ، والمخلوق المكلف ، الله عز وجل كلف الإنسان أن يعبده ، وبخلاف مفهوم عامة المسلمين الضيق المحدود للعبادة ، العبادة أن ينصاع لمنهج الله بكل تفاصيله ، ومنهج الله عز وجل شمولي شمولية تفوق حدّ الخيال ، يبدأ هذا المنهج من فراش الزوجية ، وينتهي بالعلاقات الدولية .

من كان كاملاً في تطبيق تعليمات الصانع استحق جنة عرضها السماوات والأرض :

ما من حركة ، ولا سكنة ، ولا نشاط ، ولا وقت ، ولا حيز ، ولا مجال ، إلا وهناك حكم شرعي افعل ولا تفعل ، فكأن هذا الإنسان أراده الله أن يكون كاملاً عن طريق تطبيق تعليمات الصانع ، فإذا كان كاملاً من خلال تطبيق تعليمات الصانع استحق جنة عرضها السماوات والأرض ، فيها :

((ما لا عين رأتْ ، ولا أذن سمعتْ ، ولا خطَر على قلبِ بَشَرْ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

أستاذ جميل ، لو أن رقم واحد في الأرض ، وأصفار إلى الشمس ، وبين الأرض والشمس 156 مليون كم ، ولو أن كل ميليمتر يوجد صفر ، تصور رقم واحد بالأرض و156 مليون كم أصفار بواقع كل ميل صفر ، هذا الرقم الذي يصعب تصوره ، لو وضع صورة ، ووضع في المخرج إشارة اللانهاية فقيمته صفر ، أي رقم نسب إلى اللانهاية فهو صفر ، والدنيا بكل ما فيها من أموال ، من أعمار مديدة ، من ثروات طائلة ، من مناصب رفيعة ، من متع مبهجة ، من انغماس في الملذات ، ما دامت منسوبة إلى الدار الآخرة فهي صفر ، لذلك تعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ، لكن الآخرة لمن يحب حصراً .

تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تكريم :

الإنسان هو المخلوق الأول لأنه قَبِل حمل الأمانة ، ولأنه قَبِل حمل الأمانة كرمه الله ، فسخر له

﴿ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

تسخير تعريف وتكريم ، تسخير التعريف من أجل أن يؤمن بالله ، هذا الكون ينطق بوجود الله ، وينطق بوحدانيته، وينطق بكماله ، وفي كل دقيقة من دقائقه ، وفي كل جزئية من جزئياته ، دليل ساطع بيّن على عظمة الله ، فهذا الكون مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى ، هذا الكون هو منعكس لكمالات الله عز وجل ، فالإنسان خلقه الله ليسعده .

إذاً لا بد من أن يعبده ، والعبادة هي علة وجود الإنسان على وجه الأرض ، خلقنا من أجل أن نعبده ، لتكون العبادة ثمناً لما خلقنا من أجله ، في جنة ربنا التي وعدنا الله بها .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هنالك قانون للأحوال الشخصية ، هنالك قانون للعقوبات ، قانون للسير ، ما هو قانون الحياة والوجود وكيف يمكن الرجوع إليه ؟.

عبادة الله عز وجل علة وجود الإنسان في الحياة الدنيا :

الدكتور راتب :

والله ! أنت حينما تذهب إلى باريس من أجل شيء واحد ، أن تنال الدكتوراه ، مدينة كبيرة ، مترامية الأطراف ، فيها مسارح ، فيها معارض ، فيها أسواق ، فيها دور لهو، فيها حدائق ، فيها جامعات ، فيها معامل ، مدينة عملاقة كبيرة ، هذا الطالب علة وجوده في هذه المدينة شيء واحد أن ينال الدكتوراه .

وحينما نأتي إلى الدنيا علة وجودنا في الدنيا شيء واحد هو أن نعبد الله ، فأي مكان حال بينك وبين عبادته ينبغي أن تغادر هذا المكان ، لأنه علة وجودك ، لو أن هذا الطالب لم يبقَ في الجامعة ، هل يبقى في باريس ؟ انتهت مهمته .

فأنا علة وجودي في الدنيا أن أعبد الله ، والعبادة في أدق تعاريفها : طاعة طوعية ليست قسرية ، لأن الأقوياء يطاعون قسراً ، لكن الله ما أراد أن تكون علاقته بخلقه علاقة قهر ، أراد أن تكون العلاقة بخلقه علاقة حب فقال :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

(سورة البقرة الآية : 256)

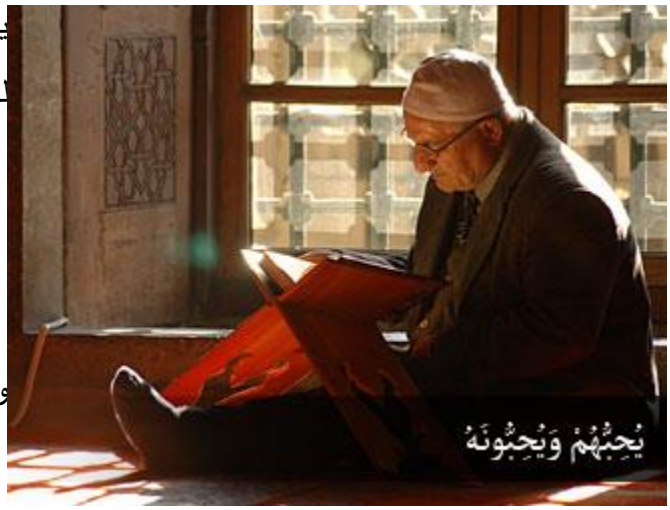

يريدنا أن نأتيه طائعين بمبادرة منا ، بدافع محبتنا له ، وقال :

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

(سورة المائدة الآية : 54)

وقال :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾

(سورة البقرة الآية : 165)

والحب أحد أكبر كليات الدين .

الفرق بين العباد و العبيد :

الإله العظيم ما أراد أن تكون علاقتنا به علاقة قهر ، أراد أن تكون علاقتنا به علاقة حب ، لذلك نفرق بين العباد والعبيد ، العبيد جمع عبد القهر ، بينما العباد جمع عبد الشكر .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾

(سورة الفرقان الآية : 63)

أما العبيد :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾

(سورة فصلت)

عبد القهر يجمع على عبيد ، بينما عبد الشكر يجمع على عباد .

إذاً العبادة طاعة طوعية ، لكن ممزوجة بمحبة قلبية ، لا بد من أن تحب الله ، وما عبد الله من أحبه ولم يطعه ، كما أنه ما عبده من أطاعه ولم يحبه ، أساسها معرفة يقينية، لا بدّ من طلب العلم لتعرف الله ، من هذا الإله العظيم الذي ينبغي أن تعبده ؟ ماذا عنده لو أطعته ؟ ماذا ينتظر الإنسان لو عصاه ؟ من أجل أن نعرفه لابد من أن نبحث عن حقيقته و مناهجه العلية .

شيء آخر : مسبوقة بعلم يقيني تفضي إلى سعادة أبدية ، هي نتائج هذا الدين ، نتائج عبادة ، نتائج خلق الإنسان في الدنيا ، طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

العبادة تحقق وجودنا وسرّ وجودنا وغاية وجودنا :

إذاً نحن في العبادة نحقق وجودنا ، نحقق سرّ وجودنا، نحقق غاية وجودنا ، في العبادة نسلم ونسعد، في العبادة نكون على الطريق الذي رُسم لنا، والعبادة ليست أن تؤدي العبادات الشكلية الشعائرية فقط ، خمسة بنود ، لأن النبي الكريم يقول :

((بُنِي الإسلامُ على خَمْسٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر]

بربك هل الإسلام هو الخمس ؟ هذه دعائم ، بناء أخلاقي ، الإسلام منهج تفصيلي دعائمه العبادات الخمس ، الصوم ، والصلاة ، والنطق بالشهادة ، أما حينما نفهم الإسلام دعائم فقط فقد ابتعدنا بعد الأرض عن السماء عن فهم جوهره .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، وأحسن إليكم ، وشكراً لكم مشاهدينا على حسن المتابعة ، نترككم في رعاية الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (04-30) : علاقة الإنسان بالله 2 : مقومات حمل الأمانة – الكون والعقل والفطرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامج :"الإسلام منهج حياة" .

وأرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي .

فضيلة الدكتور ، تقدم معنا في تعريف العبادة بأنها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، مستندة إلى معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

وذكرتم أن الإنسان هو الوحيد من بين المخلوقات الذي حمل الأمانة ، فما هي مقومات حمل الأمانة ؟ وإلى ماذا يستند هذا الحمل الثقيل ؟.

مقومات حمل الأمانة :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أستاذ جميل ، الأمانة هي نفس الإنسان أوكله الله إياها ، وقد قال الله عز وجل :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾

(سورة الشمس)

والفلاح هو النجاح مع الله ، النجاح في الآخرة ،

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾

ومعنى زكاها أنه عرفها بربها ، وحملها على طاعته ، ودفعها للترقب إليه بالأعمال الصالحة ، وهذا هو ثمن الجنة التي خلقنا من أجلها .

فالأمانة هي نفس الإنسان التي بين جنبيه ، جعلها الله أمانة عنده ، فسعادته بيده وشقاؤه بيده ، فإذا زكاها سعد في الدنيا والآخرة ، وإذا دساها جعلها بعيدة عن ربها.

إن لم تنضبط بمنهج الله عز وجل ، وأساءت إلى خلق الله ، شقيت في الدنيا والآخرة ، وحينما حمّل الله الإنسان هذه الأمانة أعطاه مقوماتها ، وهذه المقومات هي معرفة الله أولاً والتقرب إليه ثانياً ، يعرفه من خلال هذا الكون الذي ينطق بكل جزئية من جزئياته بوجود الله ، ووحدانيته ، وكماله ، وكل أسمائه الحسنى تراها في هذا الكون ، وكأن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى .

كل ظاهرة في الكون تدل على عظمة الله ووجوده ووحدانيته :

إذاً الكون الثابت الأول ، لا يختلف عليه اثنان ، كل البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، الكون أمامهم بين أيديهم ، الشمس ، القمر ، الليل، النهار ، الأطيار ، الأسماك، البحار ، الجبال ، كل هذه المظاهر تنطق بوجود الله ووحدانيته ، وكماله ، وأنا أسمي الكون الثابت الأول .

بل إن بعض العلماء يقول : "الكون قرآن صامت ، والقرآن كون ناطق ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي"، فنحن عندنا قرآن صامت هو الكون ، وكون ناطق هو القرآن ، وإنسان جعله الله قدوة لبني البشر ، إنسان أخلاقه هي القرآن ، قرآن يمشي .

إذاً هو الثابت الأول ، والحديث عن آيات الله في الكون لا تنتهي ، آيات الله في الكون الحديث عنها يحتاج إلى سنوات وسنوات ، كل ظاهرة في الكون تدل على عظمة الله ، على وجود الله ، على وحدانية الله ، على قدرة الله، على علم الله ، على حكمة الله ، فهذا الكون مظهر ، أو إن صحّ التعبير تجسيد لأسماء الله الحسنى ، وصفاته الفضلى .

معرفة الله تكون عن طريق آياته الكونية خلقه وآياته التكوينية أفعاله وآياته القرآنية كلامه:

ذكر الله في القرآن الكريم ألف و ثلاثمئة آية عن الكون ، وكأنها منهج للتفكر، وعلاقتنا بالكون هذه الآية :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾

الشاهد :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(سورة آل عمران)

هذه الآيات الكونية التي خلقه يقابلها آيات تكوينية هي أفعاله .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

(سورة الأنعام)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا ﴾

بمعنى آخر ،

﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

فنحن ننظر في أفعال الله ، فنعرف الله من خلالها ، وننظر في خلق الله فنعرف الله من خلال هذه الآيات .

بقي الآيات القرآنية هي كلامه .

أصل الدين معرفة الله عز وجل :

إذاً أصل الدين معرفة الله عز وجل ، إن عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من الأمر ، وهذا حال بعض المسلمين ، ما عرفوا الآمر ، لكنهم عرفوا الأمر ، فتفننوا في فتاوى ضعيفة ، بلف ودوران حول قواعد الشرع ، وكأنهم تحللوا من هذا الشرع بفتاوى أو باجتهادات ما أنزل الله بها من سلطان .

فالشاهد أنك إن عرفت الآمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الآمر ، أما إذا عرفت الأمر ولم تعرف الآمر تفننت في التفلت من هذا الأمر ، معرفة الله عن طريق آياته الكونية خلقه ، عن طريق آياته التكوينية أفعاله ، عن طريق آياته القرآنية كلامه .

الأستاذ جميل :

إذاً فضيلة الدكتور الكون هو المقوم الأول ، والثابت الأول .

المؤمن تجاوز الكون إلى المكون و النعمة إلى المنعم :

الدكتور راتب :

هو القاسم المشترك بين كل البشر ، أينما ذهبت في الأرض ، شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، دول قوية ، ضعيفة، الكون لا يختلف ، والإيمان به ثابت .

فالبطولة إذاً أن المؤمن تجاوز الكون إلى المكون ، بينما غير المؤمن بقي عند الكون ، المؤمن تجاوز النعمة إلى المنعم ، غير المؤمن بقي عند النعمة ، المؤمن تجاوز التسيير إلى المسير ، الخلق إلى الخالق ، الحكمة إلى الحكيم ، عملية تجاوز ، وكأن المؤمن جسر تنتقل به إلى معرفة الله عز وجل .

الأستاذ جميل :

الكون إذاً فضيلة الدكتور هو المقوم الأول لحمل الأمانة ، والكون ينظر بالعقل ، فمن كان له عقل استطاع أن يتفكر في هذا الكون ، فماذا عن العقل أيضاً ؟.

العقل أداة معرفة الله عز وجل بشرط أن يكون الوحي نوراً يهتدي به العقل :

الدكتور راتب :

العقل جهاز أعطانا الله إياه ، وهو من أثمن ما مكّن الله به الإنسان ، العقل له مبادئ ثلاثة ، مبدأ السببية، والغائية ، وعدم التناقض .

ونظام الكون بني على نظام السببية ، ونظم الكون بني على نظام الغائية ، والكون لا يقبل التناقض كما أن العقل لا يقبل التناقض .

فهذا العقل أداة معرفة الله عز وجل ، لكنه قد يطغى.

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى ﴾

(سورة العلق)

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾

(سورة المدثر)

إذاً العقل مع أنه ميزان دقيق قد يطغى لماذا ؟ لأن العين لا قيمة لها من دون نور يتوسط بينها وبين المرئيات ، وكذلك العقل مع أنه أثمن آلة منحنا الله إياها ، لا يجدي نفعاً في معرفة الحقيقة ، إلا إذا كان الوحي وسيطاً بينه وبين القضايا الكبرى ، فكما أن النور ضرورة للعين ، كذلك الوحي ضرورة للعقل ، فالعقل يحتاج إلى وحي ليتكاملا ، والعين تحتاج إلى نور ليتكاملا ، فالعقل أداة معرفة الله بشرط أن يكون الوحي نوراً يهتدي به العقل ، أما العقل من دون وحي كما ترى في العالم ، كما ترى النزعة المادية ، وكما ترى أن الإنسان يشقي نفسه بذاته .

الأستاذ جميل :

إذاً الإنسان أوتي أولاً الكون ، ثم أوتي العقل ، وهو يحاسب ويحاكم بعقله ، وينظر في هذا الكون ، أيضاً من مقومات التكليف الفطرة .

الفطرة مقياس نفسي يكشف الإنسان بها أخطاءه :

الدكتور راتب :

الفطرة ، الفطرة مقياس نفسي ، الله عز وجل فطر الإنسان فطرة دقيقة جداً يكشف الإنسان بها أخطاءه ، قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

(سورة الشمس)

بمعنى أنها حينما تتقي تعلم ذاتياً أنها اتقت ، وحينما تفجر تعلم ذاتياً أنها فجرت .

إذاً الإنسان :

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾

(سورة القيامة)

هذه خصيصة في الإنسان أن فطرته متوافقة مع الشرع تماماً ، فأي خطأ في الشرع ينعكس ضيقاً في الفطرة ، وأي خطأ في تطبيق منهج الله عز وجل ينعكس إحساساً بالذنب ، أو تأنيباً للضمير إن صحّ التعبير .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

دكتور أظن أن للحديث بقية ، ونتابعه إن شاء الله في حلقه قادمة ، نشكر لكم حضوركم ، ونشكر لكم أيها الأخوة المشاهدون متابعتكم ونلقاكم في رعاية الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (05-30) : علاقة الإنسان بالله 3 :. مقومات التكليف

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم مجدداً في حلقة جديدة في برنامج :"الإسلام منهج حياة".

أرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور تحدثنا في الحلقة السابقة عن مقومات التكليف ، وذكرتم منها الكون الذي قلتم عنه إنه القرآن الناطق ، والعقل ، والفطرة ، هل هنالك بعد من مقومات ؟.

من مقومات التكليف :

1 . الشهوة :

الدكتور راتب :

في الحقيقة هناك الشهوة ، قال تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(سورة آل عمران الآية : 14)

هذه الشهوة قوة محركة ، وكأنها المحرك في السيارة ، وكأن العقل هو المقود ، وكأن الشرع هو الطريق ، فمهمة العقل أن يحافظ على بقاء المركبة على الطريق وهي متحركة ، فالشهوات أودعها الله في الإنسان لنرقى بها شاكرين تارةً ، وصابرين تارةً أخرى إلى رب الأرض والسماوات ، بل ما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسماوات ، هي حيادية ، إما أن تكون سلماً نرقى به إلى أعلى عليين ، أو أن تكون دركات نهوي بها إلى أسفل سافلين ، هي حيادية ، يمكن أن يلتقي ذكر بأنثى من خلال الزواج ، فهو يرقى بهذا الزواج إلى أعلى عليين ، وقد يلتقي ذكر بأنثى من خلال الزنا فيهوي بالزنا إلى أسفل سافلين .

يمكن أن تكسب المال المشروع وتنتفع به فترقى إلى الله شاكراً ، ويمكن أن يكون الكسب حراماً فيهوي الإنسان بهذا الكسب إلى أسفل سافلين .

الشهوة تماماً كالبنزين في المركبة ، إذاً هذا البنزين سائل متفجر ، إذا وضع في مستودع محكم ، وسال في الأنبوب المحكم ، وانفجر في الوقت المناسب ، وفي المكان المناسب ، ولّد حركة نافعة تقلك أنت وأهلك إلى مكان جميل ، والذي يجري في المركبة انفجارات ، هذا البنزين نفسه إذا صُب على المركبة وأعطي شرارة أحرق المركبة ومن فيها .

الشهوات قوة دافعة تدفعنا إلى الله أو قوة مدمرة تدمر سعادتنا في الدنيا والآخرة :

إذاً الشهوة قوة ، إما أن تكون قوة دافعة ، أو أنها قوة مدمرة ، ولأن الإنسان مخير كل الشهوات التي أودعها الله فيه حيادية ، بمعنى أنها قد تكون طريقاً إلى الرقي ، وقد تكون طريقاً إلى الهلاك ، والشرع مهمته أن يبين ما المساحة المسموحة من كل شهوة ، هو الإيمان ، هو الضبط ، فهناك شهوات يمكن أن تتحرك من خلالها 180 درجة ، سمح لك الشرع بمئة درجة ، فالمؤمن يوقع حركته بدافع شهوته في هذه المساحة التي سمح الله بها ،

وهذا معنى قول الله تعالى :

﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾

(سورة هود الآية : 86)

أي كل شهوة أودعها الله فينا أعطانا الله مجالاً مسموحاً به ، فإذا تجاوز الإنسان هذا المجال وقع في العدوان ، والعدوان يقتضي التأديب ، والعقاب ، فمادمت أنت وفق منهج الله فأنت في الخير ، فإذا خرجت عن منهج الله فأنت في الشر .

فلذلك هذه الشهوات دافع كبير إلى رب الأرض والسماوات ، تصور إنساناً لا يشتهي شيئاً كيف يتقرب إلى الله ؟ لا يوجد طريق ثانٍ ، فما أودع الله فينا الشهوات إلا لنرقى بها تارةً صابرين ، حينما نغض البصر عن امرأة لا تحل لنا ، وتارةً شاكرين حينما يهبنا الله زوجة صالحة تسرنا إن نظرنا إليها ، وتحفظنا إذا غبنا عنها ، وتطيعنا إن أمرناها ، هذه الشهوة .

المؤمن يستمتع بكل ما أتاه الله من شهوات ولكن وفق المنهج الإلهي :

لكن النقطة الدقيقة ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناةً نظيفة تسري خلالها ، أي لا يوجد في الإسلام حرمان أبداً ، لكن هناك تنظيماً ، فالمؤمن يستمتع بكل ما أتاه الله من شهوات ، ولكن وفق المنهج الإلهي ، بل إن الله سبحانه وتعالى قال :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾

(سورة القصص الآية : 50)

أي لن تجد على سطح الأرض إنساناً أضل منه :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

(سورة القصص الآية : 50)

المعنى المخالف عند علماء الأصول : الذي يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه ، ليس هناك حرمان إطلاقاً ، لكن يوجد تنظيم ، هذا هو الدين ، الدين يعطيك كل شيء وأنت مرتاح ، وأنت معافى ، وأنت على ثقة أنك وفق الحق تتحرك .

الأستاذ جميل :

إذاً هذا المقوم الجديد من مقومات التكليف وهو الشهوة .

2 . الاختيار :

الدكتور راتب :

لكن هناك مقوماً آخر هو أن الحرية تثمن العمل ، لا قيمة لعمل الإنسان إلا إذا كان حراً ، فلذلك لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب ، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، ولو تركهم هملاً لكان عجزاً في القدرة ، إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلّف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، الله عز وجل يقول :

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(سورة الكهف الآية : 29)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾

(سورة الإنسان)

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

(سورة الأنعام)

فلذلك حينما يلغى الاختيار في عقيدة المسلم يلغى الثواب والعقاب ، وتلغى الجنة والنار ، ويلغى حمل الأمانة ، ويلغى التكليف ، فأنت حر ، لك أن تؤمن ولك ألا تؤمن ، لك أن تصلي ولك ألا تصلي ، هناك حرية تثمن عملك .

الأستاذ جميل :

دكتور قد يزيغ العقل عن النظر في آية الكون ، أو قد تزيغ الفطرة عن تحديد مرجعيتها ، فهل من الممكن أن يرجع الإنسان جمال الكون وسعته من خلال عقله إلى صانع غير الله ؟ ما الذي يحجزه عن ذلك ونحن نرى بعض العقلاء الذين يتكلمون في الكون من غير أن ينسبوه إلى رب العالمين ؟

تكامل العقل مع الوحي :

الدكتور راتب :

الحقيقة هو أن العقل مقياس دقيق ، والفطرة مقياس ، لكن من شأن العقل أن يضل ، والدليل :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾

(سورة المدثر)

العقل قد يضل لأنه ابتعد عن الوحي ، ما قيمة العين البشرية . ولو أنها تتمتع بأعلى درجات الدقة . من دون نور يتوسط بينها وبين المرئيات ؟ وما قيمة العقل . مع أنه أثمن جهاز أودعه الله فينا على الإطلاق . من دون عقل يهتدي به ؟ فالعين والنور يتكاملان، والعقل والوحي يتكاملان ، فأية أمة استغنت عن وحي السماء طبعاً قد تشقى بعقلها .

الحكم بكل شيء في الغرب هو العقل ، العقل أوصلنا إلى هذه الحروب ، إلى إنسان دمرت فطرته ، دمرت سعادته ، لكن العناية فقط بجسمه ، العالم الغربي كله يعتني بأجسامنا لا بنفوسنا ، ولا بعقولنا .

3 . الشرع :

لذلك العقل من دون وحي يضل ، فإذا ضلّ فعندنا مرجعية هي الشرع ، العلماء قالوا : " الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ".

أي أنت حينما تعطى مسألة رياضيات ، يعطيك المدرس الجواب الصحيح ، فإذا جاء حلك منتهياً إلى هذا الجواب فالطريقة صحيحة ، فإن جاء الحل بجواب آخر فالطريقة مغلوطة .

فأي فكر أوصلك إلى خلاف الشرع فهو مغلوط ، وأية فطرة أوصلتك لخلاف الشرع فهي مغلوطة ، أما حينما تهتدي بعقلك إلى وجود الله ، وإلى وحدانيته ، وإلى كماله ، وإلى أنك مخلوق للجنة ، هذا العقل توافق مع الفطرة ، وتوافق مع الواقع .

فالعقل يضل ، والمرجعية في ضلاله الشرع ، ما حسنه الشرع فهو الحسن ، وما قبحه الشرع فهو قبيح ، فكأن العقل ضمانة .

أحياناً يكون هناك موازين . مكاييل . بين أيدي الناس ، لو أن الواحد أساء استخدام هذا المكيال ، أي صغره أو كبره ، أو فعل شيئاً مزوراً إياه ، بمركز البلدية بأي مدينة هناك مكاييل نظامية هي المرجع ، فكأن العقل قد يضل ، وأن الفطرة قد تنطمس ، ما المرجع في تقويم العقل والفطرة ؟ الشرع .

من طبق سنة النبي الكريم في حياته فهو في مأمن من عذاب الله عز وجل :

لذلك الشرع هو المقياس الذي لا يختلف ، الشرع هو ما جيء به من السماء ، الشرع هو المنهج الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، لذلك قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 33)

ما معنى الآية بعد انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى ؟ معنى الآية ما دامت سنتك مطبقة في حياتهم هم في مأمن من عذاب الله ، فإذا عادوا إلى عقولهم وحدها ، وابتعدوا عن منهج الله عز وجل ، وقادتهم عقولهم التي افتقدت إلى الوحي إلى عمل لا يرضي الله عز وجل ، استحقوا العقاب .

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(سورة الأنفال)

الشرع هو المقياس الثابت لمقياسي العقل والفطرة :

إذاً الشرع هو المقياس الثابت لمقياسي العقل والفطرة ، قال تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾

(سورة الرحمن)

هذا الميزان الخطأ في الوزن لا يتكرر ، لكن الخطأ في الميزان لا يصحح ، لو أن هناك كفة أرجح من كفة ، لو استخدمت الميزان مليون مرة كل الأوزان غلط ، فهذا الغلط في الميزان لا يصحح ، بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر .

فلذلك هذا العقل حينما يضل المرجعية الصحيحة هي الشرع .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، شكراً لكم على حسن المتابعة نلقاكم مجدداً إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (06-30) : علاقة الإنسان بالله 4 : السبيل إلى تطبيق منهج الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أرحب بكم في لقاء جديد في برنامجنا : "الإسلام منهج حياة" .

و أرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور ما هو السبيل إلى تطبيق المنهج الإلهي الذي نتحدث عنه ؟ نحن نتحدث عن الإسلام منهج حياة ، ما هو السبيل إلى تطبيق هذا المنهج الذي نتحدث عنه وعن جودته وعن صلاحه ؟

علة خلق السماوات والأرض أن نعلم أن الله على كل شيء قدير :

الدكتور راتب :

الله عز وجل يقول :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾

الآن الشاهد :

﴿ لِتَعْلَمُوا ﴾

(سورة الطلاق الآية : 12)

هذه اللام لام التعليل ، أي علة خلق السماوات والأرض أن نعرف الله من خلالهما ، والسماوات والأرض مصطلح يعني الكون ، والكون ما سوى الله ،

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

أي أن هذا الكون أحد أسباب مقومات التكليف ، هو الثابت الأول ، مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى ، في كل شيء له آية تدل على أنه واحد ، هذا الكون فيه حكمة الله ، ورحمة الله ، وعلم الله ، وقدرة الله ، والغنى الإلهي، فلذلك

﴿ لِتَعْلَمُوا﴾

علة خلق السماوات والأرض أن نعلم ، ماذا نعلم ؟ وقد سألتني ما السبيل إلى تطبيق هذا المنهج ؟

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

(سورة الطلاق)

الإنسان حينما يوقن أن علم الله يطوله ، وأن قدرته تطوله ، لا بد من أن يستقيم على أمره ، والأمثلة التي تؤكد هذا المعنى لا تعد ولا تحصى .

أنت مواطن وقفت على شارة المرور الحمراء ، والشرطي واقف ، وهناك سيارة شرطة فيها ضابط ، وأنت مواطن عادي ، فلن تستطيع تجاوز هذه الإشارة ، لأن واضع قانون السير علمه يطولك ، وقدرته بحجز المركبة وسحب الإجازة تطولك .

فلأنك بالبديهة توقن أن هذا الإنسان الذي هو من بني جنسك ، من جلدتك ، لكنه أقوى منك ، علمه يطولك ، وقدرته تطولك ، إذاً لا يمكن أن تعصيه ، وكأن الله اختار من بين كل أسمائه اسم العليم ، واسم القدير ، وهذان الاسمان يعنيان أن الله يعلم ، وسيحاسب ، وسيعاقب .

لن يستطيع تاجر مستورد أن يغفل صفقة في حساباته ، لأن هذه الصفقة سوف تأتي للدوائر المالية نسخة عنها من وراء ظهر هذا التاجر ، وهو يعلم ذلك ، فإذا أغفل صفقة في حسابه أُهدرت حساباته ، وكُلف بضريبة كبيرة جداً .

آيات كثيرة تدعو الإنسان إلى النظر في خلق السماوات والأرض :

إذاً أنت حينما تعلم أن أية جهة أرضية علمها يطولك ، وقدرتها تطولك ، لا يمكن أن تعصيها ، فهذا مع بني البشر فكيف مع خالق البشر ؟

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا ﴾

علة خلق السماوات والأرض أن نعلم ، لذلك قال تعالى :

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة يونس الآية : 101)

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾

(سورة عبس)

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾

(سورة الطارق)

فآيات كثيرة تدعونا إلى النظر في خلق السماوات والأرض ، لأن هذا الكون مظهر لأسماء الله الحسنى ، وصفاته الفضلى ،

﴿ لِتَعْلَمُوا ﴾

من خلال هذا الكون

﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قدرته تطولك

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

علمه يطولك ، فلمجرد أن توقن أن علم الله يطولك ، وأن قدرته تطولك ، لابد من أن تطيعه .

لذلك قال الإمام الغزالي . رحمه الله تعالى .: "يا نفس لو أن طبيباً منعك من أكلة تحبينها ، لا شك أنك تمتنعين ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ إذاً فما أجهلك ، أيكون وعيد الطبيب أشد عندك من وعيد الله ؟ إذاً فما أكفرك ".

لن نقطف من ثمار الدين شيئاً حتى نستقيم على أمر الله عز وجل :

فلذلك هذه الآية يمكن أن تكون منهجاً في الاستقامة ، والاستقامة عين الكرامة ، وما لم نستقم على أمر الله لن نستطيع أن نقطف من ثمار الدين شيئاً إطلاقاً ، هذا الدين مع الاستقامة تقطف كل ثماره ، من دون استقامة يغدو ثقافة ، ويغدو عادات وتقاليد ، ويغدو تراثاً، ويغدو خلفية إسلامية ، وأرضية إسلامية ، ونزعة إسلامية ، واهتمامات إسلامية ، وحدث ولا حرج ، أما أن يكون منهجاً لسلامتك وسعادتك ، وآية الاستقامة :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

والإنسان يجب أن يستحي من الله ، أنه يطيع مخلوقاً لأنه أقوى منه ، ولأن علمه يطوله ، وقدرته تطوله ، ولا يطيع خالقه ، الذي حياته بيده ، ورزقه بيده ، وأهله بيده ، ومن حوله بيده ، ومن فوقه بيده ، ومن تحته بيده ، وكل شيء بيده ، وما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله عائد إليه ، قال :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

(سورة هود الآية : 123)

الأستاذ جميل :

دكتور الناس في الأمر أصناف ، منهم من يصغي السمع ، ومنهم من يعرض ، كيف وصف الله تعالى كلاً من الفريقين ؟ .

البشر عند الله لا يزيدون عن نموذجين :

1 . نموذج عرف الله فانضبط بمنهجه وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة:

الدكتور راتب :

أستاذ جميل آية دقيقة جداً ، كأن البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم، وأعراقهم ، وأنسابهم ، ومذاهبهم ، وطوائفهم ، وأديانهم ، حدث ولا حرج ، هذه تقسيمات أهل الأرض ، مهما تنوعت ، ومهما كثرت ، ومهما كان الحديث عنها طويلاً ، البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، هم عند الله لا يزيدون عن نموذجين فقط ، البطولة أن تتخذ مقاييس خالق السماوات والأرض لك منهجاً ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

(سورة الليل)

كل إنسان يتحرك صباحاً برأسه هدف ،

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

لكن هذا السعي المتنوع تنوع البشر يمكن أن يوضع في خانتين ، الخانة الأولى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

(سورة الليل)

صدق أنه مخلوق للجنة لأن الحسنى هي الجنة ، فلما صدق أنه مخلوق للجنة اتقى أن يعصي الله ، وبنى حياته على العطاء ،

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

الرد الإلهي :

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

(سورة الليل)

2 . ونموذج غفل عن الله وتفلت من منهجه وأساء إلى خلقه فشقي في الدنيا والآخرة :

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾

(سورة الليل)

لأنه كذب أنه مخلوق للجنة فاستغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ ، لذلك يقع على رأس الهرم البشري زمرتان كبيرتان ، الأقوياء والأنبياء ، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء على العكس من ذلك أعطوا ولم يأخذوا ، الأقوياء ملكوا الرقاب ، الأنبياء ملكوا القلوب ، الأقوياء عاش الناس لهم ، والأنبياء عاشوا للناس ، الأقوياء يمدحون في حضرتهم ، الأنبياء يمدحون في غيبتهم ، والناس جميعاً تبع لقوي أو نبي ، لهذا خاف الناس من الأقوياء وأحبوا الأنبياء ، وبطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء .

الناس زمرتان فقط :

النقطة الدقيقة في هذا اللقاء أن الناس زمرتان فقط ،

﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** ﴾

صدق أنه مخلوق للجنة فاتقى أن يعصي الله ، وبنى حياته على العطاء ، الرد الإلهي

﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾

سوف ييسر من قبل ربه الحكيم الرحيم لما أعدّ الله له من سعادة في الدنيا والآخرة ،

﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** ﴾

اليسرى السعادة ، الراحة النفسية ، الطمأنينة ، الثقة بالله ، الأمن ، كل هذه الصفات من نتائج التيسير الإلهي .

﴿ **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى** ﴾

لأنه آمن بالدنيا وكفر بالآخر فاستغنى عن طاعة الله ، وبنى حياته على الأخذ ، يرى ذكاءه في الأخذ لا في العطاء ، أما المؤمن يرى ذكاءه في العطاء لا في الأخذ ، الرد الإلهي :

﴿ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾

(سورة الليل)

سوف يمشي في طريق شقائه وهلاكه ، في طريق الضيق والإحباط ، في طريق اليأس ، في طريق أنه سوف يدفع الثمن باهظاً .

فهذه الآيات الكريمة :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾

هو أراد المال فاستغنى عن طاعة الله .

﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

(سورة الليل)

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

شكراً لكم فضيلة الدكتور ، وأحسن الله إليكم ، والشكر لكم مشاهدينا الكرام ، إلى لقاء آخر نستودعكم الله .

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (07-30) : علاقة الإنسان بأسرته 1 : وصف الأسرة في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامج الإسلام منهج حياة .

وأرحب بضيفنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي.

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، لعل الأسرة تكون من أهم المحطات في الحياة ، التي بنجاحها تثمر نجاح المجتمع ، وبفشلها تورث المجتمع طامة كبرى ، في القرآن الكريم وصف الله سبحانه وتعالى الأسرة بأنها آية :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾

(سورة الروم الآية : 21)

لماذا هذا التوصيف وما الذي يستفاد منه ؟.

النجاح لا يكون نجاحاً إلا إذا كان نجاحاً شمولياً :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل ، بادئ ذي بدء نحن في هذا البرنامج اخترنا محطات خمس ، المحطة الأولى علاقة الإنسان بربه ، وما وسائل تمتين هذه العلاقة ؟

والمحطة الثانية علاقته بأسرته وأولاده ، وهي محطة مهمة جداً .

والمحطة الثالثة علاقته بمن حوله من أصدقاء ، من جيران ، من أقارب ، من زملاء ، من الناس عامة .

والمحطة الرابعة علاقته بعمله الذي يرتزق منه .

والمحطة الخامسة علاقته بصحته .

وننطلق في هذا البرنامج إن شاء الله من حقيقة أساسية وهي أن النجاح لا يكون نجاحاً إلا إذا كان نجاحاً شمولياً، أما النجاح في حقل واحد من هذه الحقول ، أو في إحدى هذه المحطات لا يعد نجاحاً .

فبعد أن أمضينا حلقات عدة في الحديث عن علاقة الإنسان بربه ، اليوم ننتقل إلى علاقته بأهله ، بزوجته وأولاده .

الكون بكل عظمته اللامتناهية آية دالة على عظمة الله :

الحقيقة الدقيقة أن الله عزّ وجل حينما قال :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

الآية العلامة الدالة على عظمة الله ، كما أن الكون بسماواته وأرضه من آيات الله على عظمته .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الشورى الآية : 29)

وهو الكون .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

(سورة فصلت الآية : 37)

الآن لا بد من تعليق ، أن العطف في اللغة يقتضي التقارب ، أنت لا تقول: اشترت بيتاً وملعقة ، ينبغي أن تقول: اشتريت بيتاً ومركبة ، بيتاً وأرضاً ، مزرعة ومركبة، لابد في العطف من التناسق والتقارب ، فإذا قال الله عز وجل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

الدالة على عظمته الكون بأكمله ،

﴿ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾

من آياته الشمس والقمر ، الآن ندقق ،

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

العطف :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم الآية : 21)

كما أن الكون بكل عظمته اللامتناهية يعد آية دالة على عظمة الله ، كذلك نظام الزوجية ، وما ركب الله الذكر والأنثى من خصائص متكاملة وليست متشابهة .

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران الآية : 36)

متكاملة .

التصميم الإلهي الرائع للذكر والأنثى :

كيف أن هذا التصميم الرائع الإلهي للذكر والأنثى ، فالذكر له خصائص جسمية ، ونفسية ، واجتماعية ، وفكرية، وقيادية ، والأنثى لها خصائص رائعة جداً جسمية ، ونفسية، واجتماعية ، وقيادية ، هذه الخصائص تؤكد قوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

إنهما متكاملان وليسا متشابهين ، فروق كبيرة جداً ، لأن صفات المرأة التي تتميز بها كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، وصفات الرجل التي يتميز بها كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به .

فمن آيات الله الدالة على عظمته ، وعلى حكمته ، وعلى علمه ، وعلى قدرته الذكر والأنثى

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

كما أن الكون من آياته ، كما أن الشمس من آياته ، والقمر من آياته ، كما أن النجوم من آياته ،

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

هذه الآية التي هي أصل في الزواج كلمات دقيقة تعد مراكز ثقل في الآية ،

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف ، مكلفة كما هو مكلف ، مشرفة كما هو مشرف ، مسؤولة كما هو مسؤول .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

مكلفة بأركان الإسلام ، مكلفة بأركان الإيمان ، مكلفة برعاية الزوج والأولاد ، مسؤولة عن كل ذلك ، كذلك الزوج.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

إنها ترقى كما ترقى ، وتسمو كما يسمو ، وتصيب كما تصيب ، وتخطئ كما تخطئ ، وتحب كما تحب ، وتكره كما تكره

﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

من جبلتكم ، من خصائصكم ، ولكن بخصائص تتميز بها عنك أيها الرجل كي تميل إليها ، وتتميز بخصائصك عنها كي تميل إليك .

المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عزّ وجل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

ما السكنى ؟ الرجل له خصائص ، إنه يكمل نقصه الانفعالي والعاطفي بزوجته ، والزوجة لها خصائص لكنها تكمل نقصها القيادي بزوجها ، إذاً يسكن إليها ، وتسكن إليه ، يميل إليها ، وتميل إليه ، يحبها وتحبه ، هذه من تصميم الخالق العظيم .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

الدالة على عظمته ،

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ ﴾

أي المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل ، هكذا أراد الله .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

ولكن في هذه الآية ملمح دقيق جداً ، فالزوج حينما يرى زوجته ملء عينه ، ملء سمعه ، ملء بصره ، جمالاً ، وكمالاً ، ورقةً ، ووفاء ، وطاعة يحبها ، والحب حالة داخلية ، شعور داخلي يعبر عنه بالمودة ، فابتسامته مودة، وإحساسه حب ، هديته لها مودة ، عطفه عليها مودة ، معاونتها مودة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾

والزوجة حينما ترى زوجها ملء سمعها وبصرها ، شاب رائع ، كريم ، ذو مبادئ ، يحبها ، يدافع عنها ، يحميها، تحبه ، تحبه حباً جماً ، فهو ملء سمعها وبصرها ، لذلك تميل إليه وتسكن إليه ، وتكمل نقصها القيادي به .
إذاً هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾

أعظم ما في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين:

لكن الملمح الرائعة في كلمة

﴿ وَرَحْمَةً ﴾

أحياناً يفتقر الزوج ، أحياناً تمرض الزوجة ، هذه المؤسسة أقدس مؤسسة في حياة البشر ، دعمتها شرائع السماء، هذه المؤسسة إذاً وجدت لتبقى ، فلذلك ينبغي أن تبقى بالمودة فإن لم تكن بالرحمة ، كم من رجل افتقر فعملت زوجته عملاً شاقاً لإطعامه ، وكم من زوجة مرضت فاعتنى بها زوجها حتى آخر لحظة ، هذا من عظمة الإسلام ، أعظم ما في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين ، يتقرب إلى الله بخدمتها ، وتتقرب إلى الله بخدمته، ويخاف الله أن يظلمها ، وتخاف الله أن تظلمه ، الكلمة الدقيقة الجامعة المانعة أن الله بين الزوجين .

هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾

الأستاذ جميل :

إذاً فضيلة الدكتور ليس من الضروري أن يكون الحب من البداية حتى النهاية في هذه المؤسسة ، لأن الشائع بين الناس أن الحب متى غادر الأسرة فهي أسرة فاشلة .

الدكتور راتب :

ما كل علاقة تبنى على الحب أصلاً ، تبنى على المصلحة أحياناً .

الأستاذ جميل :

سبحان الله ! دكتور ما التوجيهات القرآنية التي تحافظ على المثالية الأسرية ولاسيما عندما يكون العهد بين زوجين ؟

التوجيهات القرآنية التي تحافظ على المثالية الأسرية :

الدكتور راتب :

الحقيقة أنا أنطلق من حديث رائع :

((ما تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[أحمد عن ابن عمر]

أنا أنصح الزوج والزوجة أن يستقيما على أمر الله ، لقاءهما حتمي ، المحبة تتنامى ما دام في طاعة الله ، فإذا عصى أحدهما ربه فهناك مشكلة ، فلذلك قال تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء الآية : 19)

ومن أجمل ما قاله العلماء : " ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها بل أن تتحمل الأذى منها".

فلذلك عندما يستقيم الزوج على أمر الله ، وتستقيم هي على أمر الله ، يكون الحب والمودة التي هي من خلق الله عز وجل بينهما ، هذه الحقيقة ، لكن إذا بني الزواج على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، من أجمل الكلمات أن الله سبحانه وتعالى بين الزوجين ، جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم .

شكراً لكم مشاهدينا نراكم بخير إن شاء الله .

السلام عليكم ورحمة الله .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (08-30) : علاقة الإنسان بأسرته 2 : توجيهات القرآن الكريم للزوجين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات يسرني أن أطل عليكم من جديد في برنامج : " الإسلام منهج حياة " .

كما يسرني أن أرحب بضيف البرنامج فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي حفظه الله ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

تحدثنا في حلقة سابقة عن آية من آيات الله ، وعن نموذج لعلاقة ناجحة بين الزوج وأهل بيته ، ما هي التوجيهات القرآنية للزوجين حتى يكون كل واحد منهما كما يريد الله عز وجل ؟.

التوجيهات القرآنية للزوجين حتى يكون كل واحد منهما كما يريد الله عز وجل :

الدكتور راتب :

من هذه التوجيهات :

1 . عدم إخراج الزوجة من البيت حينما ينشب خلاف بين الزوج و زوجته :

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

(سورة الطلاق الآية : 1)

حينما ينشب خلاف بين الزوجين ، ويطرد الزوج زوجته إلى بيت أهلها ، أصغر قضية بينهما قد تتفاقم إلى أن تنتهي إلى الطلاق ، بسبب تغذية أخرى من أطراف آخرين ، أما حينما تبقى في بيتها أكبر مشكلة تتقلص حتى تنتهي بعد أيام.

فلذلك هذا توجيه إلهي عظيم ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

ليس للزوج أن يخرج امرأته من بيتها ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

نُسب البيت إليها ، وإن كانت الملكية للزوج ، لكن نسبت هذه المؤسسة للزوجة ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

الإشارة تعني أن الزوج يؤكد ذاته خارج البيت ، في عمله ، في دراسته ، في إنجازاته الكبيرة ، أما الزوجة تؤكد ذاتها في هذا البيت الذي هو مملكتها .

فلذلك عزي في القرآن الكريم نسبة البيت إلى الزوجة ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

وأصغر قضية بين الزوجين إن أخرجها زوجها من بيتها إلى بيت أهلها ، أو إن هي خرجت من بيتها إلى بيت أهلها ، هذه القضية الصغيرة بسبب تغذيات عديدة من أقاربها ، ممن حولها ، هذه التغذية تنتهي بالطلاق ، أما حينما تبقى في بيت الزوجية أكبر مشكلة بين الزوجين تتقلص ، تصغر إلى أن تتلاشى بعد أيام ، فهذا توجيه قرآني كبير جداً ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

2 . الائتمار بينهما بالمعروف :

توجيه آخر :

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

(سورة الطلاق الآية : 6)

تأمرها وتأمرك ، وتنصحها وتنصحك ، هي شريكة حياتك ، الآية الدقيقة جداً :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة الآية : 228)

مثلاً ربان الطائرة ، قائد الطائرة طيار ، ومساعده طيار أيضاً ، بإمكانه أن يقلع بها وأن يهبط بها ، ولكن الكلمة الفصل بالأزمات الخطيرة للطيار ، ففرق الطيار على مساعده فقط درجة واحدة .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

بين لواء ولواء أركان حرب ، لا بين مجند ولواء ، الفرق ينبغي أن يكون صغيراً جداً .

فلذلك هذه الآية توجه الأزواج إلى عدم إخراج زوجاتهم ، وتوجه الزوجات إلى عدم خروجهن من بيت الزوجية ، من أجل أن تتقلص الأمور ، إنسان بساعة غضب ، انزعج، لكن بعد أيام يرى ميزات زوجته ، هو بحاجة إليها ، وهي في بيته تتزين له ، لذلك ممكن أن تتلاشى هذه المشكلة بعد أيام ، هذه واحدة .

التوجيه الآخر :

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

تنصحها ، وتنصحك ، تشير عليها وتشير عليك ، تأمرها وتأمرك ،

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ ﴾

قرآن كريم ، والائتمار فعل مشاركة .

ينبغي على الزوج أن يعطي زوجته حقها كما ينبغي على الزوجة أن تعطي زوجها حقه :

لكن هذا الذي يتوهم أنه فوق سبع سماوات وزوجته في الأراضين هذا زوج جاهل لا يعرف قيمة الزوجية ، درجة واحدة ،

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾

كما أنك تريد أن تتزين لك ينبغي أن تتزين لها ، كما تريد أن تحترم أهلك ينبغي أن تحترم أهلها ، وإلا صار الزوج عنصرياً ، العنصرية صفة في الإنسان خسيسة ، ما هي ؟ أن تتوهم أن على غيرك ما ليس عليك ، وأن لك ما ليس لغيرك ، هذه عنصرية ، قد تبدأ بعلاقة ما بين الزوجين وقد تنتهي بحق الفيتو في مجلس الأمن ، حينما تتوهم دولة أن لها ما ليس لغيرها ، وأن على غيرها ما ليس عليها ، هذه عنصرية ، وما دام هناك عنصرية في الحياة فهناك مشكلات لا تنتهي .

فلذلك بين الزوجين ينبغي أن يعطيها حقها كما ينبغي أن تعطيه حقه .

الأستاذ جميل :

دكتور ما هو الدور الذي يؤديه كل من هذين الزوجين ، وبالتالي ما هي مهامه المنوطة به ؟.

الدور الذي يؤديه كل من الزوجين و المهام المنوطة بهما :

الدكتور راتب :

والله هذا الدور وضحته امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالت :

" يا رسول الله ، إن زوجي تزوجني وأنا شابة ، ذات أهل ، ومال ، وجمال ، فلما كبر سني ، ونثر بطني ، وذهب مالي ، وتفرق أهلي ، قال : أنت عليّ كظهر أمي ، ولي منه أولاد ، إن تركتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم لي جاعوا ، أي أنا أربيهم وهو ينفق عليهم " .

فالمرأة دورها الأول التربية ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا امرأة تنازعني ، تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت : من هذه يا جبريل؟))

[ورد في الأثر]

الحديث طويل ، هي امرأة ربت أولادها ، تربية الأولاد أعظم عمل عند الله لأن الأطفال أحباب الله ، ولأن الأم إذا ربت أولادها إلى المجتمع عناصر جيدة ، صادقة ، أمينة ، متقنة ، تحمل همّ الأمة ، عناصر خيرة ، معطاءة .

لذلك أعظم عمل تقوم به المرأة دون استثناء تربية الأولاد ، وقد أكرم الله الزوجين بهذه الآية :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(سورة الطور الآية : 21)

قالت : يا رسول الله إن ضممتهم إلي جاعوا ، إن تركتهم إليه ضاعوا ، هو ينفق عليهم ، وأنا أربيهم ، هذه الأدوار المتكاملة بين الزوجين .

حقيقة الزواج أن كل طرف له وظائف وله مهمات وله محاسبة عن أعماله :

لذلك حقيقة الزواج أن كل طرف له وظائف ، وله مهمات ، وله محاسبة عن أعماله ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله . يعدل الجهاد في سبيل الله .))

[عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

والجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام .

وقد رد في الأثر أن :

((أكرموا النساء ، فوالله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

الأستاذ جميل :

دكتور ، هذه منهجة للأسرة المسلمة على دين الله في حياتها كلها ، ونحن حديثنا كله في هذا البرنامج عن أن الإسلام منهج لحياة كريمة .

تكريم الإسلام للمرأة :

الدكتور راتب :

يمكن أن أضيف إضافة ، الحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة المكرمة دعته سادتها وكبراؤها ليبيت عندهم ، ماذا قال ؟ قال : "انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة " .

وركز لواء النصر أمام قبرها ، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر ، هل هناك من تقدير وتوقير ووفاء كهذا الموقف من رسول الله ؟ هكذا المرأة في الإسلام هي مكرمة ، لكن سوء فهم بعض المسلمين وسوء تصرفاتهم أحياناً سببت مشكلات اجتماعية ، لذلك هناك من اتهم الإسلام ، والإسلام بريء من هذه التصرفات ، هذه واحدة .

هناك شيء آخر ، كما قلت قبل قليل إذا توهم الزوج أن له ما ليس لزوجته ، وأن عليها ما ليس عليه ، هنا تبدأ العلاقة بالسوء بينهما ، فنحن نحافظ على علاقة طيبة ، نامية ، إيجابية بين الزوجين ، لا تكون إلا بطاعة الله أولاً ، وبالحياة المشتركة ثانياً ، وكلما تقدم فهم الإنسان وارتقى في سلم الإيمان ، ونضج عقله ، يعامل زوجته كشريكة حياة ليس غير ، لا يعاملها أقل منه .

الأستاذ جميل :

ذكرتم فضيلة الدكتور عن العنصرية ، العنصرية بين الزوجين ، نريد منكم توضيح حول هذه العنصرية .

العنصرية بين الزوجين :

الدكتور راتب :

هناك بعض الأمثلة ، مثلاً : لو أنه نقد أمها نقداً لاذعاً فإذا أرادت أن تنتقد أمه نقداً أقل منه أقام الدنيا ولم يقعدها ، هذه عنصرية ، كما أنها أمك هي أمها ، حينما يكلفها بشيء فوق طاقتها هذه عنصرية ، أما إذا طالبته بشيء ينفجر عليها ، حينما يعامل الناس برقة ولطف فإذا دخل إلى البيت عاملها بقسوة هذه ازدواجية في

الشخصية .

فلذلك النبي الكريم قال :

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

ماذا أراد النبي الكريم ؟ أراد أن الإنسان خارج البيت يتأنق ، ويتلطف ، ويعتذر، ويبتسم ، ويصافح ، وينحني ، هذا جزء من عمله ، جزء من أنه أراد كسب شعبية بين الناس، لكنه إذا دخل إلى بيته هو طليق لا أحد يحاسبه ، فكمال الإنسان يظهر في بيته ، أخلاقه الحقيقية تظهر في بيته ، فالإنسان إذا دخل إلى البيت كما كان عليه الصلاة والسلام واحداً من أفراد البيت ، كان بساماً ، ضحاكاً ، كان يقول عن النساء :

((إنهن المؤنسات الغاليات))

[الحاكم والطبراني عن عقبة بن عامر بسند ضعيف]

فأنا أجتهد اجتهاداً خاصاً وأرى أن قيمة الزوج بعلاقته بأهله قبل كل شيء ، وتأتي علاقته مع الآخرين في الدرجة الثانية .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم ، شكراً لكم مشاهدينا على حسن المتابعة نترككم بأمان الله ، ونلقاكم في حلقة أخرى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (09-30) : علاقة الإنسان بأسرته 3 : معالجة إشكالية الشقاق الزوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أرحب بكم في حلقة جديدة في برنامج : " الإسلام منهج حياة " .

كما يسرني أن أرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

ما زلنا نتناول حديث الأسرة ودورها الريادي ، إلا أن في هذه الحلقة نود معالجة إشكالية الشقاق الزوجي ، متى يحصل الشقاق والجفاء بين الزوجين ؟.

الأصل في العلاقة الزوجية المودة والرحمة :

الدكتور راتب :

الأصل في الزواج المودة والرحمة ، وإن صحّ التعبير هذا في أصل التصميم .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم الآية :21)

إذا كان هناك عداوة ، وبغضاء ، وشقاق إن صحّ التعبير هذه حالة مرضية ، ينبغي أن تعالج ، وأنا لا أرضى لأخ كريم بينه وبين أهله شيء من الشقاق أن يبقي هذا دون أن يعالجه ، وقد قال الله عز وجل :

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

(سورة الأنبياء الآية : 90)

فما دام هناك عودة إلى الله ، ما دام هناك استلهام لحل هذه المشكلة ، المشكلة تحل ، فالأصل في العلاقة الزوجية المودة والرحمة ، وإلا هناك حالة مرضية ينبغي أن تعالج .

أسباب الشقاق الزوجي في العالم الإسلامي :

1 . الجهل و التقصير :

ولكن عندما كانت بيوتات المسلمين فيها معاناة كثيرة ، وفيها أحياناً شقاق بين الزوجين ، فهذه ظاهرة سببها الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، الجهل شيء مخيف ، كل مشكلات الإنسان تأتي من الجهل لأن الإنسان جبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وكمال وجوده ، وعلى استمرار وجوده ، لماذا يشقى ؟ من الجهل ، بل إن أزمة أهل النار في النار من الجهل .

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

(سورة الملك)

فحينما يجهل الزوج حقوق الزوجة ، وحينما تجهل الزوجة حقوق زوجها ، وحينما يجهل الزوج واجباته تجاه زوجته ، وحينما تجهل الزوجة واجباتها تجاه زوجها ، وحينما يجهلان معاً طبيعة العلاقة بينهما ، يكون هذا البيت شقياً ، والشقاق الزوجي مشكلة متفاقمة في العالم الإسلامي بسبب الجهل ، وبسبب التقصير .

فذلك حينما يتحرك الإنسان إلى حقوقه وإلى واجباته قد تقل هذه المشكلة في حدها الأدنى .

بلغني في ماليزيا ارتفعت نسب الطلاق ، فأسسوا مدرسة لا بدّ من أن ينجح فيها أحد الخاطبين ، مدرسة للذكور وأخرى للإناث ، ولا يعقد عقد في ماليزيا إلا إذا توافر في الزوجين القادمين النجاح بهذه الدورة ، بلغني بعد حين أن نسب الطلاق تدنت إلى العشر .

أكبر مشكلة هو الجهل ، مرة ثانية ، يفعل الجاهل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، إذاً يعد الجهل أحد أسباب الشقاق الزوجي ، علاجه بالعلم .

الأستاذ جميل :

أي هو المتهم الأول ، الجهل هو المتهم الأول .

2 . ضعف الإرادة :

الدكتور راتب :

السبب الثاني هو ضعف الإرادة ، قد يعلم الزوج حقوق زوجته ، ويعلم واجباته ، لكن لضعف إرادته يقصر في أداء الواجبات ، ويبالغ في مطالبته بالحقوق ، فهذا فرع منه جهل ، ثم عدم القدرة على تطبيق ما يعلم الإنسان .
الأستاذ جميل :

دكتور ، هنالك مخالفات ، هنالك معاصٍ ، لا يقبل بها في شرع الله عز وجل ، أي المعصية تورث شقاقاً بين الزوجين .

المعصية تورث شقاقاً بين الزوجين وغضّ البصر يعد أكبر أسباب الوفاق بين الزوجين :

الدكتور راتب :

والله لأن في القرآن الكريم ، وهو الكتاب الأول في حياة المسلمين ، وهو وحي السماء آية دقيقة عن غض البصر .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور الآية : 30)

أنا أتصور أن الزوج إذا أطلق بصره في النساء الأخريات ، ما الذي يحصل ؟ يأخذ من هذه طولها ، ومن هذه لونها ، ومن هذه شعرها ، فيشكل في ذهنه نموذجاً غير موجود إطلاقاً ، فإذا وازن زوجته مع هذا النموذج المتخيل لا يحبها عندئذٍ ، فإطلاق البصر له منعكس بين الزوجين ، ولهذا جاء في القرآن الكريم هذه الآية ،

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

فغض البصر أنا في تصوري ، ولأنه آية قرآنية ، ولأنه توجيه واضح وضوح الشمس ، يسهم غضّ البصر في حسن العلاقة بين الزوجين ، عندئذٍ يخلق الله وداً من فعله جلّ جلاله بين الزوجين .

فغض البصر يعد أكبر أسباب الوفاق بين الزوجين ، ينبغي هو أن يقصر طرفة على زوجته ، وهذا ورد في كتاب الإنسان ذلك المجهول لـ((ألكسي كاريل)) ، أنه أفضل نظام للزواج أن يقصر الرجل طرفه على زوجته ، مع أن الإنسان اهتدى إلى هذه الحقيقة بفكره وذكائه ، هي في كتاب الله .

الأستاذ جميل :

سبحان الله ! دكتور هنالك أمور في الشقاق الزوجي هذا عدم إطلاق البصر وغض النظر ،

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

في ما بين الإنسان وبين نفسه يتعبد الله بها ، هنالك أمور بين الزوجين ، أخطاء بين الزوجين .

سوء التصرف من ضعف الاتصال بالله عز وجل :

الدكتور راتب :

أحياناً هناك سوء تصرف ، أنا أؤمن ، حينما قال الله عز وجل :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

(سورة العنكبوت الآية : 45)

قال بعض العلماء : ذكر الله لك أيها المصلي وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية ، لكنه إذا ذكرك منحك الحكمة .

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة الآية : 269)

أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، فأحياناً هناك سوء تصرف ، موقف أحمق ، موقف غبي ، موقف أرعن، موقف قاس جداً ، هذا جاء من سوء التصرف ، وسوء التصرف من ضعف الاتصال بالله عز وجل ، فحينما قال الله عز وجل :

﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

لأن ذكر الله لك أيها المؤمن وأنت تصلي أكبر من ذكرك له ، إنه إن ذكرك منحك الحكمة ، منحك الأمن ، منحك السعادة ، منحك السكينة ، منحك التوفيق ، فالتوفيق في الزواج مكافأة إلهية على طاعة الزوجين .

الأستاذ جميل :

دكتور أحياناً يكون هنالك فارق بين الزوجين ، قد يكون الزوج غنياً ، أو الزوجة غنية ، الزوج جميلاً ، أو الزوجة جميلة .

مراعاة الكفاءة بين الزوجين والابتعاد عن التعالي :

الدكتور راتب :

هنا المشكلة التعالي ، أحياناً تتعالى المرأة التي يعد أهلها أغنياء على زوجها من أسرة فقيرة ، من هنا اجتهد الفقهاء في أن تكون الكفاءة بين الزوجين ، الكفاءة : التقارب في المستوى الاجتماعي ، والاقتصادي ، والثقافي ، والعلمي ، فكلما كان المستويان متقاربين كان الزواج موفقاً أكثر ، وفي كتب الفقه بحث قائم بذاته اسمه الكفاءة الزوجية ، فلو أن غنية تزوجت بفقير وتعالت عليه لا يحتملها ، ولو أن مثقفاً بثقافة عالية تزوج بامرأة جاهلة لا

يحتملها ، فكلما كانت الفروق كبيرة بين الزوجين طبعاً ثقافياً ، أو دينياً ، أو أخلاقياً ، أو اجتماعياً ، أو اقتصادياً، كان هناك سبب لبعض المشكلات ، لكن لو فرضنا كان أغنى من زوجته لكنه مؤمن ، إذاً هو متواضع .

لذلك قال العلماء : " طالب العلم كفء لأية زوجة " لأنه مؤمن ، منضبط ، متواضع ، لكن بشكل أو بآخر التعالي ، تعالي الزوج على زوجته ، أو على أهل زوجته ، أو تعالي الزوجة على زوجها ، أو على أهل زوجها أحد أسباب الشقاق الزوجي .

الأستاذ جميل :

هي من الأدبيات فضيلة الدكتور ، هذه الكفاءة بين الزوجين هي من الأدبيات ؟.

الدكتور راتب :

والله من الموضوعات التي يجب أن تراعى قبل عقد القران الكفاءة بين الزوجين أما العلماء حينما قالوا : طالب العلم كفء لأية زوجة ، لأنه انضبط بمنهج الله عز وجل .

الأستاذ جميل :

يحصل خلاف أحياناً بين الزوجين في من الذي يبت بأمر معين ؟

عدم وجود قيادة في البيت يسبب متاعب كثيرة للزوجين :

الدكتور راتب :

بيت بلا قيادة مشكلة كبيرة جداً ، هناك بيوت كثيرة بلا قيادة ، لا يوجد قائد واضح ، لا يوجد قائد معه صلاحية، بينما أي مؤسسة ، أي طائرة فيها طيار ومعاون ، إذا تصورنا الطيار هو الزوج ، والمعاون هي الزوجة ، الزوجة على مستوى عال جداً لكن له درجة القيادة ، في الأزمات الرأي لواحد ، فقال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

(سورة النساء الآية : 34)

هناك قيادة ، الرجل لأهليته ، ولما أنفق من ماله ، وبعلمه ، ينبغي أن يكون هو القائد إلا في الحالات النادرة ، أما في الأصل يأخذ بيدها ، وتأخذ بيده ، وينصحها وتنصحه.

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

(سورة الطلاق الآية : 6)

لكن في حالات نادرة ينبغي أن يكون القرار لواحد عند الطوارئ ، هذا الذي أتمناه أن يكون واضحاً .

فلذلك عدم وجود قيادة في البيت هذا يسبب متاعب كثيرة للزوجين .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم ، شكراً مشاهدينا الأعزاء ، نلقاكم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (10-30) : علاقة الإنسان بأسرته 4 : المنهج الإسلامي في حلّ المشكلات الأسرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أرحب بكم أجمل ترحيب في حلقة جديدة من برنامج : " الإسلام منهج حياة ".

كما أرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم سماحة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

المفترض في الأسرة أن تكون عش سكن ، ومنبع المودة والرحمة ، إلا أن الأعم الأغلب غير ذلك ، فالخلافات منتشرة وهي على أشدها ، ونسب الطلاق في تزايد ينذر بالخطر ، ما هو المنهج الإسلامي في حل هذه المشكلات الأسرية ؟.

من بنود الوفاق بين الزوجين :

1 . البعد عن التقليد الأعمى :

الدكتور راتب :

المنهج الإسلامي واسع جداً في هذا الموضوع ، ولكن من بنود الوفاق بين الزوجين البعد عن التقليد الأعمى ، هناك أُسر ذات دخل معتدل ، هناك أُسر ذات دخل كبير ، فلو أن الأُسر التي دخلها معتدل تطلعت إلى أُسرة

دخلها كبير ، وطلبت الزوجة من زوجها طلبات فوق طاقته بغية التقليد الأعمى ، بغية المنافسة في بعض مظاهر الحياة ، فهذا خطأ كبير ، فالتقليد الأعمى قد ذكره النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال :

((يا عائشة إياكِ ومجالسة الأغنياء))

[الترمذي عن عائشة]

المقصود هنا الأغنياء غير المؤمنين ، الغني المؤمن تشتهي الغنى من تواضعه ، ومن سخائه ، أما إنسان بعيد عن الله وهو يتمتع بأموال كبيرة جداً ، هذا يستعلي على من حوله ، فالاستعلاء يظهر أثره جلياً في النساء ، فلذلك التقليد الأعمى أحد أكبر الشقاق الزوجي .

ويقال : من دخل على الأغنياء . طبعاً غير المؤمنين . خرج من عندهم وهو على الله ساخط ، ويقال : لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثلما ترى له .

فلمجرد أن أقلد الغني في إنفاقه ، في بذخه ، في مصروفه ، في أثاث بيته، والزوج دخله محدود ، زوج رائع ، مؤمن ، مستقيم ، بيته كأنه عش ، بيته قطعة من الجنة ، أما حينما تريد الزوجة أن تقلد أُسرة غنية مترفة ، وتضغط على زوجها ينشأ الشقاق الزوجي بينهما .

الأستاذ جميل :

غياب الرجل عن البيت هل يعتبر سبباً من أسباب الشقاق ؟ إن كان الجواب نعم فماذا يفعل الزوج ؟ هل يقعد في البيت ؟.

2 . أن يكون لك وقت معقول وكافٍ للجلوس مع الزوجة :

الدكتور راتب :

لا ، لكن لا بد أن يخص بيته بوقت ، أما حينما أغيب عن البيت ساعات طويلة جداً ، أخرج قبل الفجر ، أو بعد الشمس وأعود بعد منتصف البيت هذه الزوجة من لها ؟ هي تزوجت كي تأنس بك أيها الزوج ، فإذا غبت عنها طويلاً فلابد من وجبة أو وجبتين تأكلها مع زوجتك ، لابد من وقت تجلس معها ، تأنس بك ، وتأنس بها ،

فالعمل الذي يأخذ كل وقتك هو خسارة كبيرة .

الحقيقة الإنسان ما لم يكن عنده وقت فراغ يمليه بحسب رغبته ، ما لم يكن لديك وقت فراغ تعيش به مع زوجتك، تزور بعض أصدقائك ، تحضر درس علم ، فالإنسان الذي لا يملك وقت فراغ إطلاقاً عمله مهما كان دخله كبيراً يعد خسارة كبيرة ، لأنه أفقد الأب أبوته ، و أفقد حقيقة الزواج .

أنا أقول : ينبغي أن يكون لك وقت معقول وكافٍ للجلوس مع الزوجة ، إن في الصباح ، أو في الظهيرة مع الطعام ، أو في المساء ، أما انشغال إلى درجة مذهلة ، وإهمال الزوجة ، أحد أكبر مشكلات الخيانة الزوجية ، تتأتى من غياب مديد جداً عن البيت .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هل للزوج أن ينظر إلى مال زوجته ؟ أو أن مالها لها ؟.

3 . عدم طمع الزوج بمال زوجته أو العكس :

الدكتور راتب :

أحياناً ترث الزوجة مبلغاً كبيراً عن أهلها ، فيطمع الزوج به ، ويضايقها كي تعطيه من هذا المال ، هذا الطمع من الزوج بمال زوجته ، أو طمع الزوجة بمال زوجها ، أو محاولة أخذ قسط كبير من المال بأسماء متعددة ، هذا التصرف أحد أسباب الشقاق الزوجي حينما يطمع الزوج بمال زوجته ، أو حينما تطمع الزوجة بمال زوجها ، أو حينما يطمعان بشيء ليس لهما ، هذا من شأنه أن يسبب ضعفاً في العلاقة الزوجية .

الأستاذ جميل :

إذاً لا يطمع بمالها ، ولا تطمع بماله ، وهذا يقودنا إذاً إلى الإنفاق ، إنفاق الرجل على أهل بيته .

ينبغي على الزوج أن ينفق على أهله لكن بالمقياس الشرعي :

الدكتور راتب :

من واجباته ، ينبغي أن ينفق على أهله لكن بالمقياس الشرعي ، أن يطعمهم مما يأكل ، أن يلبسهم مما يلبس .

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(سورة البقرة الآية : 286)

الصحابية الجليلة كانت تقول لزوجها :" نحن بك ، إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا ، نطلب الحلال ، لا نطلب غير ذلك ، اتقِ الله بنا ".

ورد في بعض الآثار أن : " أعظم النساء بركة أقلهن مهراً ، أعظم النساء بركة أقلهن مؤونة "

فالزوجة الطاهرة هي الزوجة التي لا ترهق زوجها ولا تكلفه ما لا يطيق .

هناك صحابي طالبته زوجته بأشياء كثيرة ، فقال : " اعلمي أيتها المرأة أن في الجنة من الحور العين ما لا لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر ، فلأن أضحي بك من أجلهن ، أهون من أن أضحي بهن من أجلك ".

الأستاذ جميل :

دكتور سوء الظن ، وحسن الظن أيهما المحكم في العلاقة الزوجية ؟.

سوء الظن عصمة والحزم سوء الظن :

الدكتور راتب :

الحقيقة سوء الظن كما ورد أنه عصمة .

((احترسوا من الناس بسوء الظن))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

والحزم سوء الظن ، لذلك قال تعالى :

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 12)

ما كل الظن إثم إلا إذا كان هناك دليل ، دخلت إلى البيت ، الزوجة تتكلم في الهاتف، حينما رأتك وضعت السماعة ، هناك مشكلة ، معنى ذلك أنها تكلم إنساناً ينبغي ألا أعلم من هو ، إذا كان هناك بوادر ، إذا كان هناك مؤشرات ، إذا كان هناك أسباب فسوء الظن عصمة، والحزم سوء الظن .

((احترسوا من الناس بسوء الظن))

أما من دون أي دليل فسوء الظن إثم كبير ،

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

لا يوجد أي دليل ، هناك سوء ظن يعد مرضاً نفسياً ، تسيء الظن بزوجها ، زوجها طالب علم ، إنسان منضبط، له أخلاق عالية ، عفيف ، ومع ذلك تسيء الظن به ، هذه حالة مرضية ، أو أن الزوجة طاهرة ، عفيفة ، مؤمنة، رائعة ، لا تفكر أن يكون لها علاقة مع رجل آخر يسيء الظن بها ، فسوء الظن من دون دليل ذنب كبير ، وإثم كبير ، أما بدليل فهو حزم ، و كياسة ، وحسن إدارة .

الأستاذ جميل :

هل يمكن أن يكون فضيلة الدكتور الأولاد سبباً من أسباب الخلاف ؟.

الإيمان يدعو الإنسان إلى العدل و حسن التصرف :

الدكتور راتب :

والله ! حينما تنحاز المرأة إلى أحد الأولاد ، وتؤثره على غيره ، أو حينما تنحاز المرأة لأولاد زوجها وتؤثرهم على أولاد ضرتها أحياناً ، عندئذٍ تنشأ المشكلة ، العدل أصل في العلاقات .

أنا أذكر أن بعض النساء تسقي أولادها حليباً كامل الدسم ، أما أولاد زوجها تعطي نصف الكأس حليباً ، ونصفه ماء ، هذا الانحياز يسبب علاقات سيئة جداً ، والأصل أستاذ جميل هو الإيمان ، فالإيمان يدعوك إلى العدل و إلى حسن التصرف.

فحينما تكون هناك مؤاثرة ، أحياناً زوجة حديثة تطالب أن يكتب بيتاً لأولادها ، بينما لا يكتب بيوتاً لزوجته السابقة ، هذا انحياز ، والعدل في العلاقات الزوجية أصل لذلك :

((يا رسول الله ، إني أريد أن أنحل ابني هذا حديقة ، وأريدك أن تشهد على ذلك ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه : (أكل أولادك أعطيت ؟). أي أعطيت بقية أولادك أو أعطيت هذا فقط ؟ . قال : لا , فقال النبي ﷺ : (اذهب فإني لا أشهد على جور))

[مسلم عن النعمان بن بشير]

الأستاذ جميل :

ﷺ ، دكتور ما رأيكم في تداخل القريب أو الغريب في العلاقات السرية حتى لو كان أباً أو أماً ؟.

المشكلات بين الأزواج تنشأ غالباً من تدخل طرف آخر :

الدكتور راتب :

والله أنا في حكم عملي في الدعوة هناك مشكلات كثيرة جداً ، سببها تدخل الآباء والأمهات في الشؤون الخاصة بين الزوجين ، الأب العاقل ، والأم العاقلة ، هذا الزوج ، أو هذا الابن اختار هذه الزوجة تحبها وتحبه ،

متفاهمان معاً ، لماذا أتدخل في شؤونهما الخاصة ؟ هذه سيطرة لا مبرر لها ، فكلما كان الأب مترفعاً والأم كذلك عن التدخل في تفاصيل حياة أولادهما فالعلاقة تبدو أفضل بكثير .

فلذلك أحياناً الزواج ينجح بعيداً عن الأهل ، أحياناً الإنسان يتزوج ويسافر ، يقيم مع زوجته سنوات في مكان بعيد عن الأقارب ، تجد العلاقة طيبة ، وهناك مودة ، و محبة و تفاهم ، فإذا عادا إلى بلديهما ، تدخل الأم ، تدخل الأب ، تدخل أم الزوجة ، هكذا .

الأستاذ جميل :

خروج المرأة من بيتها ما الذي يحكمه ؟.

البيان يطرد الشيطان :

الدكتور راتب :

النبي عليه الصلاة والسلام كان مع زوجته صفية ، مرّ صحابيان ، قال : " على رسليكما هذه زوجتي صفية ، قالوا : يا رسول الله ! قال : لئلا يدخل الشيطان بينكما ".

فالبيان يطرد الشيطان ، فحينما تخرج من دون إذن زوجها ، وحينما تستقبل رجلاً من أقاربها من دون علم زوجها، هذا يسبب سوء ظن .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هذا يقودنا إلى خلو الزوجة بأحد الأقارب ، أو الزوج بأحد الأقارب وهي مسألة الحمو .

نهي النبي الكريم عن الخلوة المحرمة لأنها تثير الشك :

الدكتور راتب :

والله :

((ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

هذا منهج ، وتقريباً معظم المشكلات الكبيرة في الزواج ، والتي أدت إلى الطلاق بخلوة غير مشروعة ، الخلوة تثير الشك ، فلذلك النبي الكريم نهى عن الخلوة ، بل قال :

((ما خلا . ما قال عاصٍ ، ما قال فاسق . قال : ما خلا رجل . أي رجل . بامرأة . أي امرأة . إلا دخل الشيطان بينهما))

وأكثر الأعمال القبيحة المنحرفة تبدأ بالخلوة ، فلذلك المرأة المؤمنة لا تسمح بغياب زوجها أن يكون هناك رجل ليس من الممكن إلا أن يكون أحد أقاربها الأرحام ، كأخيها وأبيها ، ... إلخ .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن تكون بيوتنا وبيوتكم بيوت سعادة ، اللهم أدم علينا عزك ، نلقاكم في حلقة قادمة ، نستودعكم الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (11-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 1 : المجتمع مبني على الأفراد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامج : "الإسلام منهج حياة " .

وأرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

كم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

لأستاذ جميل :

المجتمع مبني على الأفراد ، فكل فرد من أفراد المجتمع يشكل عاملاً من عوامل بنائه ، فلو أن الإنسان وضع في أفخم الأمكنة وقدم إليه أفخم الطعام والشراب ، هل يغنيه ذلك عن الاندماج في المجتمع ؟.

الله عز وجل جعل الإنسان كائناً متحركاً وأودع فيه حاجات عدة :

الدكتور راتب :

لا طبعاً ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أستاذ جميل الحقيقة دخلنا في محطة ثالثة ، هي علاقة الإنسان بمن حوله ، من أقارب ، من زملاء ، من أصدقاء ، من جيران ، من عامة الناس ، هذه محطة من محطاته ، ومحطة أساسية أيضاً ، لأن الإنسان في الأصل اجتماعي ، كيف ؟ الله عز وجل جعل الإنسان كائناً متحركاً وليس سكونياً ، ما الذي حركه ؟ أنه أودع فيه حاجات ، الحاجة الأولى إلى الطعام والشراب ، حفاظاً على وجوده كفرد ، والحاجة الثانية أودع فيه حاجة إلى الطرف الآخر ، الشاب بحاجة إلى شابة يتزوجها ، والشابة بحاجة إلى زوج تتزوجه، إذاً هذه حاجة ثانية ، أما الثانية حفاظاً على بقاء النوع .

وأودع فيه حاجة ثالثة سماها علماء النفس تأكيد الذات ، بعد أن يأكل ، ويشرب ، ويتزوج ، وينجب ، هناك حاجة إلى أن يكون شيئاً مهماً ، يشار إليه بالبنان هذه الحاجة نسميها تأكيد للذات ، إلا أن هذه الحاجات الثلاثة حيادية ، والإنسان بإمكانه أن يلبيها وفق منهج الله ، فيسمو عند الله ، ويمكن أن تلبى بخلاف منهج الله فيسقط ، فهذه الحاجات ترقى بالإنسان إلى أعلى عليين ، وتهوي به إلى أسفل سافلين ، لأنها حيادية ، ولأن الإنسان مخير، فإن كان وفق منهج الله يلبي هذه الحاجات وفق منهج الله ، وإن كان معرضاً عن الدين يلبيها بخلاف منهج الله .

إذاً قد تكون سلماً يرقى به أو دركات يهوي بها ، هذه حاجات كبرى إلى الطعام والشراب ، ولولا هذه الحاجة لما رأيت شيئاً على وجه الأرض ، وحاجة الزواج ، الحالة الثالثة الحاجة لتأكيد الذات .

المؤمن أراده الله أن يكون في خدمة الجماعة ليرقى إلى أعلى عليين :

إلا أن هناك حاجات فرعية كثيرة ، من هذه الحاجات حاجة الإنسان إلى أن يُحِب أو إلى أن يُحَب ، وأي إنسان لا يشعر بحاجة إلى أن يُحِب ، ولا إلى أن يُحَب ليس من بني البشر ، حاجته إلى الأمن ، حاجته إلى أن يتقوى بجماعة ، حاجته إلى النصرة ، حاجات كثيرة، هذه الحاجات تجعله كائناً اجتماعياً .

فهناك حاجات أساسية في الإنسان ، حاجته إلى الحب ، حاجته إلى التقوى ، حاجاته إلى التقدير ، حاجته إلى الأمن ، هذه الحاجات تجعله كائناً اجتماعياً ، أي أراده الله أن يكون كائناً اجتماعياً .

وهناك حاجات فردية ، المصالح الشخصية ، الأهواء الشخصية ، فالإنسان بين نوازع فردية ، ونوازع اجتماعية ، فالإنسان قبل أن يعرف الله إذا تصادمت حاجاته الفردية مع حاجاته الاجتماعية في الأعم الأغلب يؤثر حاجاته الفردية، أما الإسلام أكّد في الإنسان الجانب الاجتماعي ، وسما في هذا الجانب، فجعل الاندماج في الجماعة ، وخدمة الجماعة ، وإصلاح الجماعة طريقاً إلى الله ، جعل من عبادة الإنسان أن يصلح من حوله ، أن يأخذ بيدهم إلى سبل سلامتهم وسعادتهم ، فصار في الإنسان حاجات اجتماعية ، وحاجات فردية ، فالإنسان الذي شرد عن الله يؤثر مصالحة الشخصية على حاجاته الاجتماعية ، لكن المؤمن أراده الله أن يكون في خدمة الجماعة ليرقى عند الله ، وكأن خدمة الجماعة طريق إلى الله عز وجل، أو أحد أثمان الجنة .

قوة المسلمين في اجتماعهم على فكر و قيم و مبادئ واحدة :

إذاً نحن في هذا اللقاء . إن شاء الله . سيكون في الحديث عن الجانب الاجتماعي ، إلا أن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾

(سورة آل عمران الآية : 103)

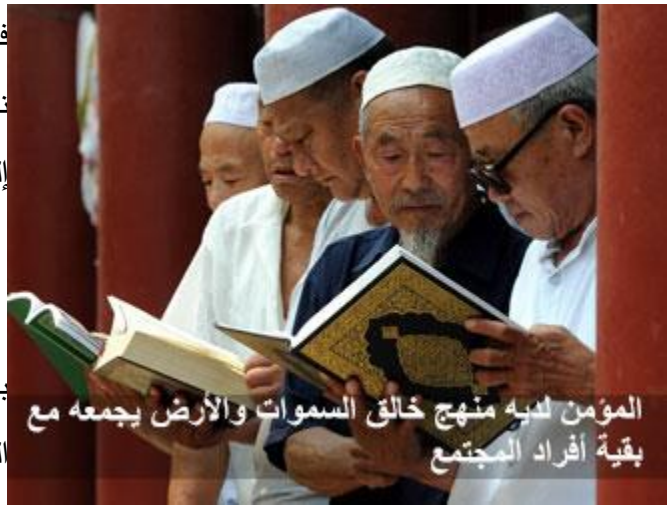

في الآية ملمح دقيق جداً وهو أنه لابدّ من حبل نعتصم به ، الاجتماع يحتاج إلى فكر ، إلى قيم ، إلى مبادئ ، إلى منهج حياة ، قال :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾

بوحي السماء ، بمنهج خالق السماوات والأرض ، التفوا حول هذا المنهج ، تلتقون ، وتجتمعون ، و تتناصرون ، وقد ورد في بعض الأحاديث القدسية :

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ ، والمُتجالِسينَ فيَّ ، والمُتزاورينَ فيَّ والمتباذلينَ فيَّ ، والمتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبييون يوم القيامة))

[أخرجه مالك عن معاذ بن جبل]

هذه الآية الكريمة :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾

لابدّ من شيء يجمعنا ، لابدّ من فكر يجمعنا ، لابدّ من قيم تجمعنا ، لابدّ من مبادئ تجمعنا ، هذه إذا جمعتنا فنحن كالبنيان المرصوص لا نُخترق .

الانسحاب من المجتمع والتقوقع حول الذات ليس من منهج المؤمنين :

شيء آخر : يقول عليه الصلاة والسلام

((عليكم بالجماعةِ ، وإيَّاكُم والفُرْقَةَ ، فَإنَّ الشيطانَ مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعدُ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر]

((فإنما يأكلُ الذِّئبُ من الغنم القاصية))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي الدرداء]

فأرادنا الله أن نندمج في الجماعة ، في جماعة المسلمين ، وحول منهجه ، وحول قرآنه ، وحول الطريق إلى سلامة المجتمع وسعادته ، فنحن معنا في القرآن الكريم آيات كثيرة، وأحاديث كثيرة ، تدعونا إلى أن نكون اجتماعيين ولسنا فرديين ، الانسحاب من المجتمع والتقوقع حول الذات ليس من منهج المؤمنين .

الأستاذ جميل :

إذاً فضيلة الدكتور من رأى في نفسه الاستغناء عن الناس ، الاستغناء عن المجتمع ، لا يقبل منه ذلك ، هذه حالة مرضية تستوجب علاجاً .

نحن مكلفون أن نكون إيجابيين وأن نكون مع مجتمعنا لنأخذ بيده :

الدكتور راتب :

لكن لابدّ من تنويه ، أنا أستخدم لعبة شدّ الحبل ، فإذا فسد المجتمع .

وهذا المؤمن إذا كان بإمكانه أن يشد هؤلاء إليه يجب أن يكون معهم ، أما إذا خاف على دينه ، وعلى مبادئه ، وعلى قيمه ، فلما التقى معهم واستطاعوا أن يشدوه إليهم فلينجُ بنفسه ، هذا الضابط.

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

(سورة الكهف الآية : 16)

إذا ما عبدوا الله عز وجل ينبغي أن تعتزلهم لتنجو بنفسك ، أما إذا استطعت أن تأخذ بيدهم ، وأن تقنعهم ، وأن تعينهم على أمر دينهم ينبغي أن تكون معهم ، من هذا كله عليك أن تكون أيها المؤمن في برج عاجي أخلاقي لا في برج عاجي فكري .

لا ينبغي أن تنأى عنهم ، هم أهلك ، أبناء جلدتك ، أنت مكلف بنصحهم ، بالأخذ بيدهم ، لكن إياك أن تقع في سقطاتهم ، وفي وحلهم ، وفي انحرافاتهم ، كن في برج عاجي أخلاقي ، ولا تكن في برج عاجي فكري .

إذاً نحن مكلفون أن نكون إيجابيين ، وأن نكون مع مجتمعنا لنأخذ بيده ، ونعين ضعيفهم ، ونعلم جاهلهم ، ونقوي من كان بحاجة إلى مساعدة ، أما المجتمع إذا جذبنا إليه ووقعنا في سقطاته ووحله هذه مشكلة كبيرة ، فالقضية تحتاج إلى توازن دقيق ، ما دمت مستطيعاً أن تأخذ بيدهم إلى الصواب فكن معهم ، فإذا شعرت أنهم يمكن أن يأخذوك إلى سقطاتهم ، وإلى وحولهم ، فابتعد عنهم .

الأستاذ جميل :

إذاً هذا الإنسان الاجتماعي إما أن يفيد ، وإما أن يستفيد .

الناحية الاجتماعية أصل في حياة الإنسان :

الدكتور راتب :

هذا منطلق لهذا اللقاء الطيب ، الناحية الاجتماعية أصل في حياة الإنسان ، لكن قد ينحرف ، قد يندمج مع المجتمع فيسقط معهم ، قد ينعزل عنهم فيلغي وظيفته ، إذاً لابد من أن نواصل الاندماج معه بقصد الأخذ بيده ، ينبغي أن تندمج اندماجاً إيجابياً ، أي ليس أن تنهار مع انهيار المجتمع ، وينبغي أن تحافظ على هويتك الإيمانية .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، إن كان هو مندمجاً مع هذا المجتمع فهو واحد منهم ، ما هو معيار التفاضل بين الناس ؟ وهل الناس على صعيد واحد ؟.

طاعة الله عز وجل معيار التفاضل بين الناس :

الدكتور راتب :

في الإسلام نصوص قرآنية ، ونبوية مذهلة ، من هذه النصوص قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 13)

سيدنا سعد بن أبي وقاص إذا دخل على النبي يقول النبي عليه الصلاة والسلام : " هذا خالي أروني خالاً مثل خالي " .

ما فدى أحداً من صحابته إلا سعداً ، قال :

((ارْمِ سَعدُ ، فداك أبي وأمّي))

[أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص]

ومع ذلك قال له سيدنا عمر : " يا سعد لا يغرنك أنه قد قيل خال رسول الله ، فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له " .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هل نعني بهذه الأخوة المساواة التامة بحيث لا يعرف لصاحب الفضل فضله ويكون الفضل بينهم على الشيوع ؟.

التفاوت بين الناس بالتقوى لا بالانتماء :

الدكتور راتب :

لا أبداً .

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

(سورة الأنعام الآية : 132)

لكن نحن ننطلق من أن مكانة الإنسان عند الله واحدة، إن كان ذكراً أو أنثى ، إن كان أبيضاً أو أسوداً ، إن كان عربياً أو أعجمياً .

((فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى))

[أخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري]

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾

النبي الكريم قال :

((يا عباس عم رسول الله ، يا فاطمة بنت محمد ، أنقذا نفسيكما من النار ، أنا لا أغني عنكما من الله شيئاً))

[مسلم عن أبي هريرة]

((من يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه))

[أحمد عن أبي هريرة]

((لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم))

[أحمد عن أبي هريرة]

دائماً وأبداً أراد الله أن يكون الناس عنده سواسية ، يتفاوتون بالتقوى ، التفاوت بالتقوى لا بالانتماء ، دائماً وأبداً هناك مقاييس انتمائية ، هذه باطلة ، ودائماً المجتمعات المتخلفة تعتمد مقاييس انتمائية ، وهناك مقاييس موضوعية ، المجتمعات الراقية أخلاقياً ومبدئياً تعتمد المقاييس الموضوعية ، فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينهم وبينه قرابة إلا طاعتهم له .

هذه معانٍ مريحة ، وكأننا نبين أن البشر عند الله صنفان ، صنف عرف الله فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، وصنف غفل عن الله وتفلت من منهجه ، وأساء إلى حلقه ، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة، ولن تجد صنفاً ثالثاً .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

وللحديث بقية فضيلة الدكتور نتابعه معكم إن شاء الله في حلقة قادمة ، نشكر لكم وجزاكم الله خيراً ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم بأمان الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (12-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 2 : الأخوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامج : "الإسلام منهج حياة ".

وأرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور حديثنا عن الأخوة ، فهل من تقسيمات لهذه الأخوة ؟ أي هل نحن نخص الكلام عن الأخ النسبي، الشقيق ، أو الأخ في الله ، أم غير ذلك ؟

أنواع الأخوة :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ جميل ، الأخوة أنواع أعلاها الأخوة الإنسانية ، لأن الإنسان أخ للإنسان ، والله عز وجل خلق البشر من نفس واحدة ، من خصائص واحدة ، فلذلك حينما قال عليه الصلاة والسلام :

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

فهناك أخوة راقية جداً هي الأخوة الإنسانية ، وهناك شعوب قوية جداً ، قادتها يهتمون بشعبهم فقط ، يهيئون لشعوبهم أعلى مستوى من الحياة ، لكن شعوباً أخرى يدمرونها، يقصفونها ، يحرمونها من وسائل الحياة ، فأنا لا أحترم إلا الاتجاه الإنساني ، لأن الإنسان حينما يهتم بمن حوله ، ويبني مجده على أنقاض الآخرين ، على أنقاض الشعوب ، وأي أمة قوية تبني قوتها على إضعاف الآخرين ، تبني مجدها على أنقاض الآخرين ، وتبني أمنها على إخافة الآخرين هذه أمة لا تنتزع إعجابنا ، ليست إنسانية ، الإسلام إنساني .

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ . كأن هذا ارتبط بالإيمان . حتَّى يُحِبَّ لأخيه . في الإنسانية . ما يُحِبُّ لنفسه))

هذا ملمح واضح من هذا الحديث الشريف ، يؤكد هذا المعنى حديث آخر :

((الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

حديث ثالث :

((كبُرتْ خيَانة تحدِّثَ أخاكَ حديثاً هوَ لك بُه مُصدِّق ، وأنتَ له به كاذبُ))

[أخرجه أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي]

((كبُرتْ خيَانة تحدِّثَ أخاكَ))

أخاك : يجب أن نأخذ معناها المطلق ، المطلق على إطلاقه ، أخوك في الإنسانية حين تحدثه حديثاً هو لك به مصدق ، وأنت له به كاذب .

يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب :

بالمناسبة : هناك حديث يقصم الظهر ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي]

فإذا خان أو كذب ليس مؤمناً ، ليس مؤمناً أصلاً .

((يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب))

لأن المؤمن لا يكذب ، قد تغلبه شهوته ، لكنه لا يكذب ، قد يقع تحت ضغف نفسي ، لكنه لا يكذب .

إذاً هذه الأحاديث مطلقة ، حينما يقول النبي الكريم :

((كبُرتْ خيَانة تحدّثَ أخاكَ حديثاً هوَ لك بُه مُصدِّق ، وأنتَ له به كاذبُ))

الإسلام إنساني لا عنصري :

شيء آخر :

((يا بنَ آدمَ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني ، قال : يارب كَيْفَ أعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين ؟ قال : أمَا علمتَ أنَّ عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْهُ ؟ أما علمتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لوجَدتني عنده ؟))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

أي أنت حينما ترعى أخاك كائناً من كان ، تخفف عنه ، تعينه ، تطعمه ، تعالجه، ترشده ، تحتويه ، تلبي رغبته ، تغيث لهفته ، أنت إنسان عند الله عظيم، لأن :

((الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

[أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك]

هناك أحاديث كثيرة ، ومطلقها على إطلاقه وأوضح حديث :

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

فالإسلام إنساني ، ويقابل الإنسانية العنصرية ، العنصرية أمة ، أو دولة ، أو جهة ، أو قبيلة ، أو عشيرة ، أو فرد ، حينما يرى له ما ليس لغيره ، وحينما يرى على غيره ما ليس عليه ، هذا عنصري .

العالم لا يمكن أن ينجح إلا إذا أعاد المشكلات إلى أسبابها :

أقول لك كلمة وهذه قناعتي : ما دام هناك عنصرية في الأرض ، ما دام هناك شعوب قوية ترى لها ما ليس لغيرها ، وترى على غيرها ما ليس عليها ، لأن العنف لا يقف، هذه حقيقة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام حينما ساق له بعض الأنصار رجلاً دخل بستانه وأكل من دون إذنه وعده سارقاً ، ماذا قال له النبي ؟ هلا أطعمته إن كان جائعاً ؟ وهلا علمته إن كان جاهلاً؟.

في هذا النص توجيه رائع ، النبي الكريم عالج المشكلة من أسبابها ، هل هناك في العالم معالج يعالج مشكلة العنف من أسبابها ، هذا الذي هدمت بيته ، وجرفت حقله ، وردمت بئره ، وقتلت أباه وأمه ، أيعقل أن يبقى هكذا ساكناً وديعاً لك ؟! قبل أن تقول : هذا الإرهابي هل بحثت لماذا كان كما تصفه أنت ؟ يدافع عن أرضه ، يدافع عن عرضه ، يدافع عن مقومات حياته .

فالعالم لا يمكن أن ينجح إلا إذا أعاد المشكلات إلى أسبابها .

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، نحن لا نتكلم في الأخوة في الله ، لا نتكلم في العنصرية ، هذا الإيثار ، هذا النفع ، هذا الصدق ، عيادة المريض ، إطعام الجائع ، كل ذلك من حقوق الإنسان على الإنسان ، فما بال حقوق المسلم على المسلم ؟.

حقوق المسلم على المسلم :

الدكتور راتب :

من باب أولى ، أقول لك هذه الكلمة : لك جار ، أي إنسان له عليك حق الجار ، فإذا كان مسلماً له عليك حقان، فإذا كان قريباً له عليك ثلاثة حقوق ، حق الجوار ، وحق الإسلام ، وحق القرابة ، إذاً أنا أقول : هناك حق لكل إنسان كائناً من كان ، فكيف إذا كان هذا الإنسان مؤمناً ؟ له عليك حقان ، فكيف إذا كان قريباً ؟ له عليك ثلاثة حقوق ، حق الإنسانية ، وحق الإيمان ، وحق القرابة .

إذاً هناك أخوة إيمانية .

الأستاذ جميل :

هل لنا أن نتحدث في هذه الأخوة الإيمانية بعد أن أثبتنا تلك الأخوة الإنسانية بيني وبين أخي الإنسان كان دينه ما كان .

الأخوة الإيمانية :

الدكتور راتب :

الحقيقة الآية الأصل في هذا :

﴿ **إِنَّمَا الْمُ**

وهناك ملمح دقيق جداً ، ما لم يكن انتماؤك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً الإيمان ليس فقاعة صغيرة ، الفقاعات الصغيرة لا ينتمي إليها .

يجب أن تنتمي لمجموع المؤمنين ، والإسلام ليس خطاً رفيعاً إذا خرجت ميلي متر عنه خرجت عن الدين ، الإسلام شريط عريض جداً ، هناك يمين ، وهناك يسار ، كلهم على العين والرأس ، ما دامت عقيدتهم سليمة ، والسلوك مستقيم ، لا يحق لأحد أن يقول : أنا الإسلام ، لا ، الإسلام شأنه عظيم ، أنت تنتمي إليه فقط .

إذاً الأخوة الإيمانية كبيرة جداً ، ومرة ثانية وثالثة أؤكد أن الانتماء لا إلى فقاعات صغيرة ، يقول لك : هذا ليس من جماعتنا ، من أنت ؟ أنت ينبغي أن تنتمي إلى جماعة المؤمنين عامة .

الأخوة الإنسانية أصل في إسلامنا :

لذلك الأخوة الإنسانية أصل في إسلامنا ، وبعدها الأخوة الإيمانية ، وآيتها الأساسية :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(سورة الحجرات)

الآية الثانية :

﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 63)

شيء دقيق جداً ، أن المودة والرحمة بين المؤمنين

هي من خلق الله عز وجل

﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

إذاً نحن مع أخوة إيمانية لها شأن كبير .

الأستاذ جميل :

دكتور ، إن ثبت أن المسلم أخو المسلم ، فلابد من خصائص لهذه الأخوة ، ولا بد من حقوق على الأخوين ، فما هي هذه الخصائص ؟.

من خصائص الأخوة الإسلامية :

1 . التناصح :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن هناك خصائص متميزة ، تخص مجتمع المؤمنين ، من أولى هذه الخصائص التناصح .

((المؤمنون بعضهم لبعض نصحة متوادون ، لو ابتعدت منازلهم ، والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون ولو اقتربت منازلهم))

المؤمنون :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(سورة الحشر الآية : 9)

قضية الإيثار أحد أكبر خصوصيات المؤمن يؤثر أخاه في كل شيء .

2 . المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً :

شيء آخر :

((المؤمن للمؤمن كالبنيان . المرصوص .))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة وأبي سعيد]

لا يخترقون ، حينما ينصر الضعيف يتماسك المجتمع .

((فإنما تُرزقُونَ وتُنصرون بضعفائكم))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء]

المؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، ويصعب أن يخترقوا .

3 . التواصل :

شيء آخر :

((مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم : مثلُ الجسد ، إذا اشتكى منه عضو : تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى))

[أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير]

أي هناك تواصل ، هناك تواصل عضوي بينهم .

4 . الألفة :

شيء آخر ، من خصائص مجتمع المؤمنين الألفة بينهم ، فالمؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، الله عز وجل يقول :

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً** ﴾

(سورة مريم)

قال بعض علماء التفسير : يجعل الله وداً فيما بينهم ، فالمودة والرحمة بين المؤمنين من خلق الله عز وجل ، وهذا شيء واضح جداً ، لا ترى في الأرض من هو أقرب إليك من المؤمن ، لأن نقاط اللقاء كثيرة جداً .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

شكراً لكم فضيلة الدكتور ، وأحسن إليكم ، وشكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في رعاية الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (13-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 3 : سلوكيات تضعف العلاقة بين المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج : "الإسلام منهج حياة ".

وأرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

هنالك سلوكيات تضعف العلاقة بين المسلمين ، وتبعد الأخ عن أخيه ، هل لنا بتسليط الضوء على السلبيات حتى نجتنبها ؟.

العداوة بين المؤمنين والتحريش بينهم من عمل الشيطان :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

أستاذ جميل ، إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرض العرب ، ولكنه رضي فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم ، ورضي بالتحريش بين المؤمنين ، أحد مداخل الشيطان أن يوقع العداوة والبغضاء .

فلذلك هناك من يرى أن الشيطان يبدأ بوسوسة تعني الكفر بالله ، فإذا كان العبد على إيمان وسوس له بالشرك ، فإذا كان على توحيد وسوس له بالكبائر ، فإذا كان على طاعة وسوس له بالصغائر ، فإذا كان على ورع بقي معه ورقتان رابحتان ، إحداهما التحريش بين المؤمنين ، أن يوقع بينهما العداوة والبغضاء ، والثانية المباحات ، أن يغرق الإنسان في المباحات ، حتى ينسى المهمة التي جاء بها إلى الدنيا .

فهناك وساوس كبيرة إحداها التحريش بين المؤمنين ، لذلك حينما يستجيب المؤمن، ويسلك سلوكاً مضاداً تجاه أخيه ، فكأنه استجاب للشيطان ، وكأنه أعطى الورقة الرابحة للشيطان ، وكأنه أعان الشيطان على أخيه ، لكن التوجيه النبوي : " كونوا عوناً لأخيكم على الشيطان ، ولا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم".

هذه قضية دقيقة جداً ، لذلك قالوا : لا بدّ للمؤمن من كافر يقاتله ، ومن منافق يبغضه ، ومن مؤمن يحسده ، ومن شيطان يغويه ، ومن نفس ترديه ، هذه الأخطار تهدد المؤمن، فالبطولة أن يستجيب لأمر الله عز وجل فينجو من كيد الشيطان ، العداوة بين المؤمنين والتحريش بينهم هذا من عمل الشيطان .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هل تبين لنا الفارق بين وسوسة الشيطان وبين وسوسة النفس ؟

وسوسة الشيطان و وسوسة النفس :

الدكتور راتب :

الحقيقة الفارق دقيق جداً ، وساوس الشيطان تبهم المؤمن ، لا يرضى بها ، ينزعج منها ، هي ليست منه ، وهذا تطمين ، لكن وساوس النفس يرتاح لها ، فالفارق الدقيق بين وساوس الشيطان ، وبين وساوس النفس ، وساوس النفس يرتاح لها ، هنا الخطورة ، أما الشيطان يقول لك : من خلق الله مثلاً ؟ تتألم أشد الألم ، تبحث عن جواب، تسأل بعض العلماء ، فالذي يؤلمك من الشيطان ، أما الذي يريحك من نفسك .

الأستاذ جميل :

دكتور ، من لقي إذاً من أخيه المسلم مسوغاً ، له أن ينقلب على هذا المبدأ ، مبدأ الأخوة ، أم ماذا يفعل ؟.

المؤمن يجمع ولا يفرق ويقرب ولا يباعد :

الدكتور راتب :

والله الآية الكريمة دقيقة جداً ، قال تعالى :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 1)

أصلح أية علاقة بينك وبين أخيك ، بينك وبين أهلك، بين أولادك ، أخوتك ، أخواتك ، جيرانك ، أصدقائك، زملائك ،

﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

الأصل أصلحوا العلاقة مع ربكم ، هذه الآية فسرها بعض العلماء على مستويات ثلاثة ، أصلحوا أولاً العلاقة مع الله ، فإذا صلحت العلاقة مع الله صلحت مع الخلق ، هذه الحقيقة دقيقة جداً ، والمستوى الثاني : أصلح علاقتك مع من حولك ، مع أهلك ، مع أولادك ، مع إخوتك ، مع أخواتك ، مع أقاربك ، مع جيرانك ، مع أصدقائك ، مع زملائك ، بالكلمة الطيبة ، والاعتذار عند الخطأ، والهدية عند الترميم ، هذا أصل العلاقة ، لكن الآية تحتمل معنىً ثالثاً ، أصلح بين أخوين ساءت العلاقة بينهما، أنت أصبحت وسيطاً ، أول حالة والثانية أنت طرف ، أصلح علاقتك مع الله ، والحالة الثانية أصلح علاقتك مع أخيك ، أما الثالثة أصلح أية علاقة بين أخوين ، فالمؤمن يجمع ولا يفرق ، يقرب ولا يباعد ، هذه من صفات المؤمن .

الدنيا تفرق ولا تجمع و تستدعي السيطرة والكِبر والاستعلاء :

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لاَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ))

[البيهقي عن الزبير بن العوام]

من أخطر الأحاديث هذا الحديث ، إياكم وفساد ذات البين ، تجد في عصر التخلف الدين الإيماني عداوات في البيت الواحد ، بين الأقارب ، بين أهل

القرية ، بين أهل المدينة ، بين الدول ، بين الشعوب ، حياة قائمة على العِداء ، والعداوة لها قانون .

﴿ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة المائدة الآية : 14)

حينما ندع منهج الله جميعاً ، الدنيا محدودة ، والدنيا تفرق ولا تجمع ، والدنيا تستدعي القتال ، وتستدعي سفك الدماء ، تستدعي السيطرة ، والعنجهية ، والكبر ، والاستعلاء ، لذلك الحديث الشريف :

((الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لاَ حَالِقَةَ الشَّعْرِ))

[البيهقي عن الزبير بن العوام]

أسباب العداوة والبغضاء التي تضعف العلاقة بين المؤمنين :

1 . السخرية :

أستاذ جميل ، هناك آية أصل في هذا الموضوع ، هي قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 11)

السخرية تضعف العلاقة بين المؤمنين ، المؤمن لا يسخر أبداً ، يحترم الآخر ، السخرية أحد أسباب العداوة والبغضاء ، ولو أن الذي سخرت منه كان قوياً وذكياً فضحك وجاملك ، لكنه يحقد عليك ، البطولة ألا تسخر .

﴿ لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 11)

كل واحد منا له مقام عند الله ، قد يكون في مقاييس أهل الأرض في مستوى متدنٍ ، وقد يكون عند الله في مستوى راقٍ جداً .

فالنبي الكريم مرةً هش وبش لأحد الصحابة وكان فقيراً ، قال : أهلاً بمن خبرني جبريل بقدومه ، هذا الصحابي دُهش ، قال : أو مثلي ؟! قال : نعم يا أخي ، أنت خامل في الأرض علم في السماء ،

﴿ لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ﴾

﴿ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 11)

2 . التنابز بالألقاب القبيحة :

﴿ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

أي أن يعير بعضكم بعضاً ، أن يقيّم بعضكم بعضاً، أن يفضح بعضكم بعضاً ، أن يزري بعضكم ببعض،

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

هذا أخوك إن حقرته حقرت نفسك ، إن سخرت منه سخرت من نفسك ،

﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 11)

الألقاب القبيحة التي يتداولها العامة من الناس هذه محرمة بين الإسلام ،

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾

﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(سورة الحجرات)

3 . الغيبة و تتبع الأخبار السيئة :

الآية الكريمة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾

(سورة الحجرات الآية : 12)

التجسس تتبع الأخبار السيئة .

﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾

(سورة الحجرات الآية : 12)

والغيبة من الكبائر .

4 . الحسد :

هذه الآيات من سورة الحجرات أصل في هذا اللقاء ، أي مجموعة أخطاء كبيرة جداً ، إذا ارتكبها الناس نشبت بينهم العداوة والبغضاء ، بل إنه في بعض الأحاديث الصحيحة يقول عليه الصلاة والسلام :

((ولا تحاسَدُوا))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

أي لا تعمل عملاً يسبب لك أن تُحسد ، أن تظهر ما عندك ، أن تفتخر بمالك ، ببيتك ، بمركبتك ، أن تقول : سافرت إلى المكان الفلاني ، أنفقت الآلاف المؤلفة ، الإنسان إذا تكلم عن إنفاقه ، وعن حجمه المالي ، وعن مكانته ، وعن استمتاعه بالحياة ، كأنه يقول للناس : احسدوني ، الحسد هنا يعني ألا تفعل شيئاً ينتهي بأن تُحسد.

5 . بيع النجش و التباغض :

((ولا تحاسَدُوا . ولا تناجَشُوا))

بيع النجش ، أن إنساناً يدخل ليشتري بضاعة بشكل تمثيلي ، ليقنع الشاري الأول بالسعر المرتفع ، هذه مخالفة شرعية وآثمة طبعاً .

((ولا تناجَشُوا . ولا تَباغَضُوا))

لا تفعلوا أسباب البغضاء .

((ولا تناجَشُوا . ولا تَباغَضُوا))

﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾

(سورة الحجرات الآية : 12)

((ولا تَدَابَرُوا ، ولا تَحَسَّسوا ، ولا يَبِعْ بعضُكم على بَيْعِ بعض وكونوا عبادَ الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يخونُه ، ولا يكذِبُهُ ، ولا يَخْذُله ، كلُّ المسلم على المسلم حرام : عِرْضُهُ ، ومالُه ، ودمُه ، التقوى هاهنا))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(سورة الشعراء)

6 . التقليل من شأن الناس :

ثم يقول النبي الكريم :

((بِحَسْب امرئ من الشَّرّ أن يَحْقِر أخاه المسلمَ))

أكبر شر أن تزدري لأخاك .

((بِحَسْب امرئ من الشَّرّ أن يَحْقِر أخاه المسلمَ ، كلُّ المسلمِ على المسلم حَرَام : دمُهُ ، وعِرْضُهُ))

((لا يحلُّ لمسلم أن يُروِّعَ مُسلما))

[أخرجه أبو داود عن بعض الصحابة]

ومن دعي فلم يجب فقد عصا الله ورسوله .

((الكبْرُ : بطَرُ الحقِّ ، وغمطُ الناس))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود]

أن تزدري الناس ، أو تقلل من شأنهم ، أن تزدري اختصاصهم ، أن تزدري علمهم .

المجتمع المتماسك قوام علاقاته المحبة والمودة والتناصر والتعاون :

هذه كلها من المنهيات التي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي منهج لنا ، والمجتمع إذا خلا من هذه المنهيات مجتمع متماسك ، قوام علاقاته المحبة، والمودة ، والتناصر ، والتعاون .

فلذلك التعاون أصل في هذا الدين ، والتحابب ، كما قلت قبل قليل :

((وجبت محبتي للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتباذلين فيَّ والمتزاورين فيَّ يغبِطهم النبيُّون والشهداءُ يوم القيامة))

[أخرجه ابن حبان عن معاذ بن جبل]

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (14-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 4 : كيف علم النبي الصحابة الأخوة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة ".

وأرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

ما زال الحديث عن الأخوة والجماعة ودائرة النفع العام ، لعموم الناس وخصوصية المسلمين ، كيف علم النبي ﷺ أصحابه هذه الأخوة ، وكيف كانت قدوة لهم في أن الناس سواسية ؟.

للنبي الكريم مهمتان كبيرتان ؛ التبليغ و القدوة :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل ، في الحقيقة أن النبي ﷺ له مهمتان كبيرتان الأولى هي التبليغ ، والثانية هي القدوة ، التوجيه الأول يقول الله عز وجل :

﴿ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾

(سورة الحشر الآية : 7)

توجيهاته النصية ، أحاديثه ، هذه منهج لنا .

﴿ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(سورة الحشر الآية : 7)

التوجيه الثاني متعلق بمهمته الثانية أنه قدوة ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾

(سورة الأحزاب)

أنا أتصور أن التبليغ سهل ، أما البطولة في التطبيق ، والآن الدعاة كُثر ، من هم الذين وفقهم الله ؟ الذين طبقوا في حياتهم ما قالوه للناس .

مرة زرت الشيخ الشعرواي . رحمه الله تعالى . سألته أن يقدم نصيحة للدعاة ، توقعت أن يتحدث طويلاً ، فإذا به يتكلم جملة واحدة ، قال : "ليحذر الداعية أن يراه المدعو على خلاف ما يدعو " ، تكفي هذه .

القدوة هي المهمة التي كانت أكبر سبب لانتشار هذا الدين العظيم :

مهمة النبي الثانية هي المهمة البطولية ، هي المهمة التي كانت أكبر سبب لانتشار هذا الدين ، كان قدوة ، ما قال شيئاً ما فعله ، ولا نهى عن شيء وفعله .

فلذلك كان مع أصحابه في سفر ، أرادوا أن يعالجوا شاةً ، فقال أحد أصحابه : يا رسول الله عليّ ذبحها ، وقال الثاني : عليّ سلخها ، وقال الثالث : وعليّ طبخها ، وقال عليه الصلاة والسلام : وعليّ جمع الحطب ، معقول؟! سيد الأمة ، زعيم الأمة ، نبي الأمة ، رسول الله ، وقائد الجيش يساوي نفسه مع أخوانه تماماً ؟ .

بالمناسبة : دخل أعرابي على النبي ﷺ ، وتأمل بهم جميعاً وقال : أيكم محمد ؟ ولا ميزة إطلاقاً ، واحد من أصحابه، يوجد روايتان ؛ الأولى تقول : قال له : أنا ، وفي رواية يقول أحد الصحابة : ذاك الوضيء .

فكان عليه الصلاة والسلام مع أصحابه ، قال : وأنا عليّ جمع الحطب ، هم لم يحتملوا ذلك ، هو سيدهم ، ونبيهم ، قال : يا رسول الله نكفيك ذلك ، قال : أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه ، هذا موقف.

ما الذي جعل الصحابة يلتفون حوله ؟ ما الذي جعلهم يفدونهم بأرواحهم ؟ ما الذي جعلهم يؤثرونه على كل شيء ؟ هذا الصحابي الذي أراد القرشيون قتله ، قال أبو سفيان : أتحب أن يكون محمد مكانك ؟ قال : والله ما أحب أن أكون في أهلي وولدي وعندي عافية الدنيا ونعيمها ، ويصاب رسول الله بشوكة .

وهذا درس للدعاة ، ولكل منصب قيادي للأب ، والأم ، والمعلم ، و مدير المستشفى ، ومدير المؤسسة ، أنت حينما تكون مع من حولك متواضعاً لهم يلتفون حولك .

فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال : "أعلم أنكم تكفونني ، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه" .

مهمة القدوة أعظم بكثير من مهمة التبليغ :

هناك ومضة أخرى : في بعض المعارك الصحابة كانوا ألفاً ، والرواحل ثلاثمئة، أعطى رسول الله أمراً لقائد الجيش ، قال : كل واحد على راحلة ، وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، سوى نفسه مع أقل جندي ، فركب الناقة في نوبته ، فلما جاء دوره في المشي توسلا صاحباه أن يبقى راكباً ، فقال عليه الصلاة والسلام ، والله هذه المقولة لا أرتوي من ترددها فقال عليه الصلاة والسلام : "ما أنتم بأقوى مني على السير ، ولا أنا بأغنى منكم عن الأجر".

حينما سوى نفسه مع أصحابه كواحد منهم فدوه بأرواحهم ، وهذا مذهب في القيادة ، إن أردت أن تكون قائداً ناجحاً سوي نفسك مع من حولك ، أما إذا أخذت ميزات كثيرة ولم تقدم للآخرين شيئاً فلن تنجح في القيادة .
لذلك النبي الكريم قال :

((من لم يجب الدعوة فقد عصى أبا القاسم))

[مسند أبي يعلى عن أبي هريرة]

وفي رواية :

((مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

أما هو ماذا قال عن نفسه ؟ قال :

((لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

في الغميم مكان بعيد في المدينة ، يمكن أبعد مكان في المدينة ، قال :

((لو دعيت إلى كراع بالغميم لأجبت))

هو حينما يأمرنا بمكارم الأخلاق ، بكل ما من شأنه أن يمتن العلاقة بين المؤمنين كان قدوة لنا ، لذلك أنا أرى أن مهمة القدوة أعظم بكثير من مهمة التبليغ .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هنالك أسس كيف لنا أن ننمي هذه الأخوة ؟ وكيف نحافظ عليها إن وجدت ؟.

أكبر مفتاح لقلب الأخ أن تحسن إليه و تنصحه و تعينه على حلّ مشاكله :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل ، كما أن النبي ﷺ نهانا عن بنود كثيرة جداً من شأنها أن تبعد العلاقة بين الأخوين ، أن تسيء العلاقة بينها ، بالمقابل أمرنا بأشياء كثيرة تنمي هذه العلاقة ، من هذه الأشياء ، ورد في الأثر :

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها))

[ورد في الأثر]

فأنت حينما تحسن لأخيك ليحبك ، وتفتح قلبه بإحسانك ، يفتح لك عقله لبيانك ، والإحسان قبل البيان ، والقدوة قبل الدعوة .

فهذا توجيه نبوي :

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حبّ من أحسن إليها))

[ورد في الأثر]

أكبر مفتاح لقلب الأخ أن تحسن إليه ، أن تنصحه ، أن تقدم له هدية ، أن تعينه على حلّ مشكلة ، أن تقف معه في أزمته ، هذا الذي ينمي العلاقات ، هذا الذي ينشئ الحب بين المؤمنين ، الخدمة ، الإحسان ، الاهتمام.

إفشاء السلام وإطعام الطعام يقوي العلاقة بين المسلمين :

شيء آخر ، يقول النبي الكريم :

((أَفْشُوا السلامَ))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن سلام]

اجعل السلام شيئاً اعتيادياً ، لا تسلم على من تعرف ، سلم على من تعرف وعلى من لم تعرف .

((أفْشُوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنةَ بسلام))

[أخرجه الترمذي عن عبد الله بن سلام]

فإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، يقوي العلاقة ، أنا حتى أقول أحياناً إطعام الطعام ينمي العلاقة بين المؤمنين ، أنت حينما تجلب لهم الطعام ، ويأكلون ، تنشأ مودة زائدة عن المودة الطبيعية من خلال هذا الطعام .

شيء آخر :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ ﴾

(سورة النساء الآية : 86)

فردوا السلام ، إذا كان إلقاء السلام سنة مؤكدة فرد السلام فرض ، فقال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

(سورة النساء الآية : 86)

موضوع الإحسان ، موضوع الإكرام ، موضوع تلبية الدعوة ، موضوع أن تنصح أخوانك ، أن تكون معهم ، هذا كله موضوع أن ينمي العلاقة المؤمنين .

المؤمن الصادق لا يكره الآخر بل يكره عمله :

ورد في بعض الأحاديث : أن بعض الصحابة سأل النبي الكريم ، أي الإسلام خير ؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

((تُطعِمُ الطعامَ ، وتَقْرَأُ السلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لم تَعرِف))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

نحن ألفنا أن نسلم على من نعرف ، أما هنا التوجيه على من عرفت ومن لم تعرف ، السلام يحمل معه المودة والطمأنينة ، تمشي في الطريق قل للذي تراه : السلام عليكم، وهذا السلام تحية الإسلام .

مرة عمير أراد أن يقتل محمداً عليه الصلاة والسلام ، فقال لصفوان : والله يا صفوان لولا ديون ركبتني ما أطيق سدادها ، ولولا أولاد أخشى عليهم العنت من بعدي ، لذهبت وقتلت محمداً وأرحتكم منه ، فقال صفوان : ديونك عليّ بلغت ما بلغت ، وأولادك أولادي ما امتد بهم العمر ، فاذهب وافعل ما تريد ، فسقى سيفه سماً ، وانطلق على راحلته إلى المدينة ، رآه عمر رضي الله عنه ، قال : هذا عدو الله جاء يريد شراً ، فأخذه إلى النبي وكتفه بحمالة سيفه ، فقال النبي ﷺ : يا عمر فك أسره ، أطلقه ، وابتعد عنه ، ادنُ مني يا عمير ، قال : سلم علينا ،

قال : عمت صباحاً يا محمد ، قال : قل السلام عليكم ، قال : هذا سلامنا ، بمنتهى الغلظة ، فسأله النبي الكريم : ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال له : والله جئت أفدي ابني ، قال له : وهذه السيف التي على عاتقك ؟ قال له : قاتلها الله من سيوف ، وهل نفعتنا يوم بدر ؟ قال له : ألم تقل لصفوان بن أمية كذا ، وكذا ، وكذا ، فوقف ، و قال : أشهد أنك رسول الله ، لأن هذا الذي بيني وبين صفوان لا يعلمه أحد إلا الله ، وأنت رسول الله ، وأسلم .

البطولة ، يقول سيدنا عمر : دخل عمير على رسول والخنزير أحبّ إليّ منه ، وخرج من عنده وهو أحبّ إليّ من بعض أخواني .

هذا ملمح دقيق جداً ، هذا المؤمن الصادق لا يكره الآخر ، يكره عمله فقط ، فإذا عاد إلى الله فهو أخي في الله .

الأستاذ جميل :

دخل في قوله :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 12)

دكتور هل هنالك من حقوق واجبة للمسلم على المسلم ؟ .

حقوق واجبة للمسلم على المسلم :

الدكتور راتب :

طبعاً ، الحقوق كثيرة جداً .

((حقُّ المسلمِ على المسلم خمس : ردُّ السلام ، وعِيادةُ المريض ، واتِّباعُ الجنازة ، وإجابةُ الدَّعْوَةِ ، وتشميتُ العاطس))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

وفي رواية :

((وإذا استنصحك تنصحه))

هناك حقوق ، فأنا حينما أعرف حقوق الأخوة عليّ ، وحقوقي عليهم ، هذا مجتمع متماسك ، الحقيقة هذه التوجيهات والله كل ما أتمناه أن تنقلب إلى واقع نعيشه نحن ، أي المجتمع الإسلامي ما شاء الله في تقدم علمي، وحضاري ، ومساجد رائعة ، ومؤتمرات دقيقة، وكتب مؤلفة ، ومحاضرات ، وفضائيات ، نحتاج إلى الحب ، نحتاج إلى المودة التي كانت بين الصحابة ، أصحاب النبي الكريم كان بينهم من الحب ما لا يوصف ، كان أحدهم إذا افترق مع أخيه عقب صلاة العشاء يلتقي به مع صلاة الفجر ، يعانقه ، ويقول له : واشوقاه يا أخي ثلاث ساعات غاب عنه .

هذا كان الحب ، نحن بحاجة إلى حب ، والحب هو علامة الإيمان .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في رعاية الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (15-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 1 : ما هو المبدأ الأساس الذي ينطلق منه الإنسان في حياته؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ جميل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيها الأخوة والأخوات، أسعد الله أوقاتكم بكل خير، وأهلاً بكم في لقاء جديد، في برنامج: "الإسلام منهج حياة"، ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله، الداعية الإسلامي، أهلاً بكم فضيلة الدكتور.

الدكتور راتب:

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً.

الأستاذ جميل:

دكتور ما هو المبدأ الأساس الذي ينطلق منه الإنسان في حياته بحيث يكون المرجع والمعتمد عليه وإن صحّ أن نسميه الثابت المطلق؟

التوحيد هو المبدأ الأساس الذي ينطلق منه الإنسان في حياته :

الدكتور راتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحقيقة سأجيب على هذا السؤال، ولكن لا بدّ من أن أنوه إلى أننا دخلنا إلى محطة رابعة، المحطة الأولى: علاقة الإنسان بربه، والمحطة الثانية: علاقته بأسرته وبأولاده، والمحطة الثالثة: علاقته بمن حوله.

لكن هذه المحطة الرابعة: تتعلق بالشأن العام، المؤمن لا ترتاح نفسه إلا إذا وصل إلى تفسير دقيق، عميق، متناسق، قادر على تفسير كل ما يجري، لأنه في توازن، كيف أتوازن مع وعود الله للمؤمنين بالنصر ومع ما يعانيه العالم الإسلامي؟ بعد أن أكل وشرب وتزوج، وكانت علاقات رائعة جداً مع من حوله، هناك حاجة إلى أن ينسجم مع عقيدته، الذي يجري في الكون، هناك حروب، هناك اجتياحات، هناك قتل، هناك قصف، كيف يفسر هذه الأحداث الكبرى؟ يمكن أن نسمي هذه المحطة الرابعة الشأن العام، أولاً: إجابة عن سؤالك الدقيق هو التوحيد، فما تعلم العبيد أفضل من التوحيد.

التوحيد يعطي النفس راحة لا حدود لها :

التوحيد: أن ترى أن الله:

﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾

[سورة هود]

أن ترى أن يد الله تعمل في الخفاء، أن ترى:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود الآية: 123]

أن ترى أنه:

﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾

[سورة الكهف الآية:26]

أن ترى:

﴿ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾

[سورة الزخرف الآية: 84]

أن ترى أنه وحده هو الرافع، وهو الخافض، وهو المعطي، وهو المانع، وهو المعز، وهو المذل، أن ترى أن الله تعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين، أن ترى أن هؤلاء الطغاة بعلم الله:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾

[سورة إبراهيم]

هذه المعاني التوحيدية تعطي النفس راحة لا حدود لها.

الله عز وجل لم يكلف الإنسان أن يعبده إلا بعد أن طمأنه أن كل شيء يرجع إليه :

حينما تطمئن أن الأمور بيد الله، وأن الله سبحانه وتعالى كامل كمالاً مطلقاً، وأن الأمر يرجع إليه، بل إن الله عز وجل ما كلفك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن كل شيء يرجع إليه، قال:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

[سورة هود 123]

فهذا التوحيد أن ترى أن علاقتك مع جهة واحده وليست مع جهتين، مع الله، كل شيء بأمره، كل شيء بيده.

﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

[سورة يس]

هذا المعنى الدقيق للتوحيد يعطي النفس راحة لا حدود لها.

كل شيء وقع أراده الله وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة :

لذلك قال تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

[سورة الشعراء]

أي أحد أكبر عذابات النفس أن ترى مع الله إلهاً آخر، لذلك أن تؤمن بالله خالقاً شيء، وأن توحد شيء آخر، أن توحد أن ترى أن الله موجود، وواحد، وكامل، وأن الأمور كلها بيده، فلذلك قيل: ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، لكن التوحيد يمكن أن يلخص بهذه المقولة: كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق، لأنه لا يليق بألوهية الإله أن يقع في ملكه ما لا يريد، لكن الذي وقع لم يأمر به ولم يرضَ عنه، عند علماء العقيدة عبارة أراد: أي سمح ولم يأمر، أراد ولم يرضَ.

فالأب حينما يأخذ ابنه إلى المستشفى هل هو راض أن يكون على طاولة الجراحة؟ لا، يتمنى ألا يكون هذا، لكن تقضي الحكمة والمصلحة أن تجري له العملية.

لذلك حينما نقول أراد بمعنى سمح، وقد يسمح بشيء هو الحكمة المطلقة، لكن هذا الشيء سببه أن هناك تقصيراً عند الإنسان، لذلك: كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق.

الأستاذ جميل:

دكتور في حديثنا عن الخير، هذا ضمن فلسفة الخير والشر، ما هو الخير؟ هل الخير أن يكون غنياً أو أن يكون صحيح الجسم؟ والشر هل هو الفقر أم أن يكون مريضاً؟

تناقض الشر المطلق مع وجود الله عز وجل :

الدكتور راتب:

والله ليس هناك شر مطلق، أن أعتقد أن الشر المطلق يتناقض مع وجود الله، هناك شر نسبي موظف للخير المطلق:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة]

الشر النسبي بالضبط كمركبة، كسيارة صنعت لتسير، علة صنعها أن تسير، لكن فيها مكبحاً، والمكبح أيديولوجياً يتناقض مع علة صنعها، المكبح يوقفها، لكن لا بدّ من المكبح لضمان سلامتنا، بل إن الآية الكريمة يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص]

حينما يكشف الغطاء لولا هذه الشدائد لم تكن لكان الله ملوماً، أو لكان هذا نقصاً في حكمة الله.

فلسفة المصيبة :

إذاً ننتقل الآن إلى فلسفة المصيبة، المصيبة من أجل السلامة، كالمكبح في السيارة يتناقض مع علة صنعها لكن هو ضمان لسلامتها، فالمصائب أنواع، مصائب الأنبياء مصائب كشف، أي هناك كمال لامتناه عند النبي، لا يظهر إلا في الشدة كحالة الطائف، ذهب مشياً إلى هناك، كذبوه، وسخروا منه، وأغروا صبيانهم أن يضربوه، وقف الموقف الكامل، مكنه الله أن ينتقم، فقال: لا يا أخي اللهم اهدِ قومي إنهم لا يعلمون، إذاً هذه المصيبة تكشف هذا الكمال اللامتناهي عند النبي، مصائب المؤمنين مصائب دفع ورفع، يدفعه إلى مزيد من الطاعة، إلى

مزيد من الإقبال، إلى مزيد من العمل الصالح، يدفعه بمصيبة أو يرفع مكانه عنده، قال تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

[سورة البقرة]

إذاً مصائب المؤمن دفع ورفع، مصائب الأنبياء كشف، مصائب والطغاة والكفار والمنحرفين مصائب ردع أو قصم.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام]

الأستاذ جميل:

دكتور، إلى من تضاف المصائب حال حصولها؟ هل يعكف الإنسان على لوم نفسه أم أنه يفوضها إلى أمر ربه؟

توظيف المصائب لخدمة الإنسان :

الدكتور راتب:

الذي عليه المؤمنون ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، والآيات كثيرة جداً:

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية:165]

وهناك آية أخرى:

﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة آل عمران الآية: 165]

من عند الله فعلاً، ومن عند النفس سبباً، أي الفعل من خلق الله، أما السبب فمن عند الإنسان، فالإنسان حينما يتجاوز حدوده، عندما يغفل عن سرّ وجوده، حينما يشرد عن ربه، يسوق الله له شدةً، حتى إن بعض العلماء قالوا: ما من شِدة إلا وراءها شَدة إلى الله، وما من محنة إلا وراءها منحة من الله عز وجل، فالمصائب موظفة لخير الإنسان:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾

[سورة آل عمران الآية:26]

لم يقل والشر، أي إيتاء الملك خير، ونزعه خير، الإعزاز خير، والإذلال خير.

الأستاذ جميل:

معنى الأمر فضيلة الدكتور أن المصائب والبلاءات تصيب الجميع، هي تصيب الطائع والعاصي، المسلم والكافر، واستوائهما في البلاء لا يدل على استوائهما في الحال والمكان عند الله عز وجل؟

المصائب ترقى بالمؤمن وتردع المنحرف وتكون رفعة لمن صبر عليها :

الدكتور راتب:

الحقيقة الدقيقة: أن الإنسان مسير في أمه وأبيه، وفي جنسه ذكر أو أنثى، وفي مكان ولادته، وفي زمان ولادته، الإنسان بهذا مسير، وهذا لصالحه، وليس في الإمكان أبدع مما كان، أما مخير فيما كلف، الآن ربنا رب العالمين يربينا، لو الإنسان استخدم اختياره للشر مع الله عز وجل يسلب منه هذا الاختيار مؤقتاً ليؤدبه، فإذا أراد

ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي لبٍّ لبه، أي إنسان اختار أن يغش الناس ليحقق أرباحاً طائلة، فهذا يرتكب حماقةً توقعه في مصيبة كبيرة هي نتيجة هذا الغش الذي اقترفه، إذاً الإنسان مخير ولكن أحياناً يؤخذ اختياره ليؤدبه على نوع اختيار أخذ فيه قراراً، فالحقيقة أن المصائب لها حكمة بالغة، وأنا أقول: لا يستقيم إيمان العبد إلا إذا عرف سرّ المصائب، المصائب ترقى بالمؤمن، وتردع المنحرف، وتكون رفعة لمن صبر عليها.

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل:

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور، وأحس إليكم، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة، نترككم في أمان الله وحفظه.

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (16-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 2 : ما هو معنى الجهاد ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة" .

ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور ، ما هو معنى الجهاد ؟ وما هو دوره في حياة الإنسان ؟ لاسيما أن ذروة هذا الدين هو الجهاد .

الجهاد حجر الزاوية في الدين :

أحب أن أذكر أخوتي المشاهدين أننا في محطة رابعة، الإنسان محطته الأولى أن يعرف الله ، وأن يستقيم على أمره ، وأن يسعد بقربه ، والمحطة الثانية أهله وأولاده ، والثالثة من حوله ، الرابعة علاقته بما يجري في الأرض ، كيف يفهم هذه الأحداث ؟ قد تُفهم فهماً شركياً ، وقد تُفهم فهماً توحيدياً ، الفهم التوحيدي مريح للنفس وواقعي ، والفهم الشركي متعب ومقلق ، يؤدي إلى الإحباط ، يؤدي إلى الطريق

المسدود ، يؤدي إلى اليأس ، فما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

نحن لا زلنا في المحطة الرابعة ، محطة الشأن العام ، كيف أفهم ما يجري ؟ الحقيقة كأن الجهاد حجر الزاوية في الدين ، لكن فهم الناس للجهاد ليس كما ينبغي ، الحقيقة الجهاد أن تبذل غاية الجهد لتحقيق هدف ما .

أنواع الجهاد و معاني كل نوع :

1 . جهاد النفس و الهوى :

الجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام ، بل إن الجهاد أعلى مرتبة في الإسلام ، ولكن العوام يفهمونه فهماً آخر ، إذا ذُكر الجهاد ما فهموه إلا جهاداً قتالياً ، مع أن هناك أنوعاً منوعة من الجهاد ، هناك جهاد النفس والهوى ، وهناك الجهاد الدعوي ، وهناك الجهاد البنائي ، وهناك الجهاد القتالي ، فلابد أن نوضح معاني هذه الأنواع ، لأنه الأولى أن نبدأ بالمراحل الأولى ، لأنها كالتعليم الأساسي لا يبني شيئاً متقدماً على لا شيء .

فأولاً جهاد النفس والهوى .

أستاذ جميل ، المهزوم أمام نفسه ، أمام شهوته ، أمام مصلحته ، لا يمكن أن يقاتل نملة ، الإنسان حينما يهزم ، والغرب حينما يسعى كي نهزم من الداخل لكي نريد ما يريدون ، لكي ننغمس في الشهوات المحرمة ، الغرب حينما يخطط لنا ذلك ، يكون قد ألغى هذه الفضيلة ، أو هذه الفريضة التي هي ذروة سنام الإسلام .

فلابد من جهاد نفسي ، جهاد النفس والهوى ، إذاً الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى ، وكأنه يشبه التعليم الأساسي ، فالذي لم ينجح مع نفسه في الجهاد لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، والدليل على هذا الجهاد الآية الكريمة :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(سورة العنكبوت)

إذاً الجهاد الأكبر أن أحمل نفسي على طاعة الله ، أن أمنعها أن تعصي الله ، أن أحملها على الاتصال بالله ، أن أحمسها على أن تبذل الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس في سبيل الله ، أن أضبطها وفق منهج الله ، أن يراني الله عز وجل عند الحلال والحرام ، أن يراني حيث أمرني ، وأن يفتقدني حيث نهاني ، أن أكون ملتزماً ، أن أكون طائعاً ، هذا جهاد النفس والهوى ، وقد قال العلماء الكبار : "جاهد تشاهد " ، إن جاهدت نفسك وهواك كشف الله لك طرفاً من كمالاته ، عندئذٍ تكون أسعد الناس ، فلابد من جهاد النفس والهوى ، لابد من طاعة الله ، لابد من حملها على البذل والعطاء ، والتضحية والفداء ، لابد من دفعها إلى الأعمال الصالحة البطولية ، هذا جهاد النفس والهوى ، هو الأساسي في الجهاد ، وهذا الجهاد لا أحد يمنعه ، ولا أحد يحاسبك عليه ، فيما بينك وبين نفسك ، حينما تؤدي الصلوات بإتقان ، حينما تبذل من مالك للفقراء والمساكين ، حينما تربي أولادك ، حينما تقيم الإسلام في بيتك ، وفي عملك ، فأنت في جهاد ، وهذا الجهاد الأساسي الذي أراد الله أن نبدأ به ، فإذا بدأنا به انتقلنا إلى جهاد آخر ، هو الجهاد الدعوي .

2 . الجهاد الدعوي :

أيضاً الجهاد الدعوي من ضروريات الأمة .

((خيرُكمْ . بشكل مطلق . من تعلّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عثمان بن عفان]

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(سورة فصلت)

هذا الجهاد الدعوي سماه الله في قرآنه الكريم جهاداً كبيراً ، فقال تعالى :

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾

أي بالقرآن :

﴿ جِهَاداً كَبِيراً ﴾

(سورة الفرقان)

فنحن ينبغي أن نبدأ بجهاد النفس والهوى ، أن نضبط أمورنا ، أن نكون مؤهلين لتلقي نوع آخر من الجهاد ، فجهاد النفس والهوى كالتعليم الأساسي ، والجهاد الدعوي كالتعليم الثانوي ، فنحن ندعو إلى الله .

((بلّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

والدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ، في حدود ما تعلم ومع من تعرف ، وكما قال عليه الصلاة والسلام:

((خيرُكمْ من تعلّمَ القُرآنَ وعَلَّمَهُ))

[البخاري عن عثمان بن عفان]

وقال :

((بلّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هذا الجهاد الدعوي سماه الله جهاداً كبيراً ، لأن الجهاد القتالي من أجل الجهاد الدعوي ، فإذا أتيح لك الجهاد الدعوي فهذا شيء رائع جداً ، إذا سُمح لك أن تنقل هذا الدين للآخرين ، أن تبين معالمه ، أن تبين عقائده ، أن تبين فضائله، أن تبين خصائصه ، هذا جهاد كبير ، وهو في أعلى عليين ، فالآية الكريم تؤكد ذلك :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

3 . الجهاد البنائي :

إذا انتهينا من الجهاد الدعوي ، فهناك جهاد خطير جداً ، الجهاد البنائي ، الأمة لابدّ من أن تستعد للطرف الآخر ، لابدّ من أن تستعد عسكرياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، وعلمياً ، واجتماعياً ، وإنسانياً ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم ﴾

(سورة الأنفال الآية : 60)

لأن الله عز وجل لا ينصرنا إلا بشرطين ، كل شرط منهما شرط لازم غير كافٍ، الأول : الإيمان .

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الروم)

الذي يحمل على طاعة الله ، وثانياً : الإعداد :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم ﴾

لكن فضل الله عز وجل ما كلفنا أن نعد الإعداد المكافئ لأعدائنا الأقوياء ، لا ، كلفنا أن نعد الإعداد المتاح وعلى الله الباقي ، هذا رحمة بنا .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 60)

القوة المطلقة ، في وقت السيف قوة ، والفرس قوة ، وفي وقت المنجنيق قوة ، وفي وقت آخر المدرعة قوة، وفي وقت الطائرة قوة ، وفي وقت الأقمار الصناعية قوة ، وفي وقت الإعلام قوة ، وفي وقت التوجيه المعنوي قوة ، فالقوة مطلقة جاء المطلق على إطلاقه ، لكن ليفهم الصحابة ما القوة قال :

﴿ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 60)

هذا عند علماء البلاغة عطف الخاص على العام .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 60)

يجب أن يكون عدوكم عدواً لله ، لا أن يكون العدو مؤمناً ، هذه مشكلة كبيرة ، ملمح دقيق في هذه الآية، إذاً :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

وقد لا تحتاجون إلى للسلاح ، السلاح أحد أكبر وظائفه قوة رادعة، الآن القوة النووية مرهوبة الجانب، وقد لا تستخدم هذا السلاح إطلاقاً ، لكنه :

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

فإذا تجاوزت الإعداد ، الآن التعليم إعداد ، الاقتصاد إعداد ، الصحة إعداد ، الآن النصر يحتاج إلى أشياء كثيرة جداً ، شعب صحيح ، شعب مثقف ، شعب علاقاته الاجتماعية رائعة ، فالإعداد شامل ، كل مسلم إذا أدار وقته فهو مجاهد ، حينما تساهم في بناء الأمة اقتصادياً ، اجتماعياً ، علمياً ، ثقافياً ، عسكرياً ، فأنت في جهاد ، فهذا أوسع معنى من معاني الجهاد الجهاد البنائي .

4 . الجهاد القتالي :

إذا نجح الإنسان النفسي ، ونجح في الجهاد الدعوي ، ونجح في الجهاد البنائي ينتظر أن ينجح في الجهاد القتالي ، أما هذه القفزة الطائشة من لا شيء إلى الجهاد القتالي لا ينجح ، الجهاد القتالي كالدكتوراه ، يحتاج إلى تعليم أساسي، تعليم ثانوي ، تعليم جامعي ، ثلاثة أنواع من التعليم تفضي للدكتوراه ، فالجهاد يعين إنساناً سيقدم نفسه في سبيل الله .

لذلك الإنسان حينما يسلك المراحل الثلاث في الأعم الأغلب ينتظر أن ينجح في الجهاد القتالي .

الجهاد القتالي تاج على أنواع الجهاد الثلاثة :

لكن الحقيقة الدقيقة : أن الحرب بين حقين لا تكون لأن الحق لا يتعدد ، الحق يشبه خطاً مستقيماً بين نقطتين ، وبين نقطتين لا يمر إلا مستقيم واحد ، لو رسمت خطاً ثانياً يأتي فوقه تماماً ، الحق لا يتعدد ، لذلك الحرب بين حقين لا تكون ، والآن المعركة بين الحق والباطل لا تطول لأن الله مع الحق ، وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ والحرب بين باطلين لا تنتهي ، قد تستمر الحرب بين باطلين عقوداً ، مرة هذا يفوز و مرة هذا يفوز ، لكن لا يوجد حسم ، وأصعب شيء بالحرب عدم الحسم، لا يموت فيها ولا يحيا ، لا يوجد حرب ولا يوجد سلم ، هذه حالة صعبة جداً تمر بها الأمة ، لا حرب ولا سلم، هناك أخطار تهددنا ولا يوجد حرب .

إذاً نحن أمام الجهاد القتالي ، وهو الجهاد الذي يأتي تاجاً على أنواع الجهاد الثلاثة .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، ونترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (17-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 3 : من هو الذي يحظى بنصر الله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج : " الإسلام منهج حياة ".

أرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

تقدم الحديث معنا فضيلة الدكتور في الحلقة الماضية عن الجهاد ، وما بعد الجهاد نصر أو هزيمة ، فما هو النصر ؟ وما هو مبدأ النصر ؟ من هو ذلك المحظوظ الذي يحظى بنصر الله عز وجل ؟.

النصر محبب للإنسان و هو من عند الله وحده :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

الحقيقة أن النصر محبب للإنسان .

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾

(سورة الروم)

فالنصر مسعد ، والنصر نجاح ، والنصر في معركة متعلقة بالقيم والمبادئ فلاح، والفلاح أبلغ من النجاح ، النجاح نجاح في الدنيا ، والفلاح فلاح في الآخرة ، فالنصر شيء محبب ، لكن ما حقيقته ؟ الحقيقة الأولى والخطيرة أن النصر من عند الله وحده .

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾

(سورة آل عمران الآية : 160)

فحينما نؤمن أن النصر بتحالف مع دولة قوية ، أو بتنازلات لدولة أخرى ، هذا لا يصنع نصراً ، النصر من عند الله وحده .

فحينما ننطلق من التوحيد أن الناصر هو الله ، حينما ننطلق من التوحيد نكون قد مشينا في الطريق الصحيح .

النصر له أسباب ما لم نأخذ بها لن نحوزها إطلاقاً :

بادئ ذي بدء : النصر من عند الله وحده ، هو الذي يهب النصر ، أو يمنع النصر عن الإنسان ، لكن الشيء الدقيق جداً أن أفعال الله لها قواعد ثابتة ، مهما دعونا إن لم ندفع ثمن النصر لا ننتصر ، لذلك أنا درجت على دعاء أقول :

يا رب اللهم ارزقنا أسباب النصر حتى نستحق أن ننتصر ، فالنصر له أسباب .

عفواً ، دولة محترمة رسمت لحرفة الطب طريقاً ، فالطريق يبدأ بعلامات معينة في الشهادة الثانوية ، ثم الدخول في كلية الطب ، أول سنة علوم عامة ، ثانية سنة تشريح ، الثالثة فيزيولوجيا ، الرابعة علم الأمراض ، الخامسة علم الأدوية ، فالإنسان إذا قرأ مجلات طبية لن يكون طبيباً ، و إذا صاحب أطباء لن يكون طبيباً ، إذا تمنى أن يكون طبيباً لن يكون طبيباً .

فالنصر له أسباب ما لم نأخذ بها لن نحوزها إطلاقاً ، فأنا أرى النصر ، أولاً : الله عز وجل هو الناصر وحده ، لأن سيدنا عمر عزل سيدنا خالد ، قال له : لِمَ عزلتني يا أمير المؤمنين ؟ قال له : والله إني أحبك ، قال له :

لِمَ عزلتني مرة ثانية ؟ قال له : والله إني أحبك ، قال : لِمَ عزلتني مرة ثالثة ؟ قال له : والله ما عزلتك يا بن الوليد إلا مخافة أن يفتتن الناس بك ، لكثرة ما أبليت في سبيل الله ، كأن هذا الإمام الكبير ، الخليفة الراشد ، أراد أن ينقذ التوحيد ، كاد الناس يتوهمون أن خالداً هو الناصر ، هو عبد الناصر وليس هو الناصر ، الناصر هو الله ،

﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾

(سورة آل عمران الآية : 126)

من ينصر دين الله عز وجل يستحق أن ينصره الله :

أول حقيقة : الله هو الناصر ، ثاني حقيقة : من ينصر ؟

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾

(سورة الحج الآية : 40)

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾

(سورة محمد الآية : 7)

أنت حينما تنصر دين الله تستحق نصر الله ، حينما تقيم شرع الله تستحق نصر الله ، حينما ننصر الضعاف نستحق النصر ، لقول النبي الكريم :

((فإنما تُرزقُونَ وتُنصرون بضعفائكم))

<[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء]

أي هذا الضعيف حينما تطعمه إن كان جائعاً ، تكسوه إن كان عارياً ، تعالجه إن كان مريضاً ، تعلمه إن كان جاهلاً ، تؤويه إن كان مشرداً ، تنصفه إن كان مظلوماً ، هذا الضعيف حقيقة الله سبحانه وتعالى يكافئنا على خدمته بأن ينصرنا على أعدائنا .

شروط النصر :

1 . الإيمان :

إذاً الله عز وجل ينصر من ينصره ، لكن لو سألتني هل للنصر شروط دقيقة جداً ؟ الجواب : النصر له شرطان، كل واحد منهم شرط لازم غير كافٍ ، أول شرط الإيمان ، لقول الله عز وجل :

﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِين ﴾

(سورة الروم)

أي أنشأ الله حقاً عليه ، أن ينصرنا إن كنا مؤمنين ، لكن كلٌ يدعي وصلاً بليلى ، كلٌ يدعي الإيمان ، الحقيقة الإيمان الذي أراده الله بهذه الآية الإيمان الذي يحمل على طاعة الله ، فما دام الإيمان لا يحمل على طاعة الله أنا أسميه إيماناً إبليسياً ، لأن إبليس قال ربي :

﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾

(سورة ص الآية : 82)

إبليس قال :

﴿ خَلَقْتَنِي ﴾

(سورة الأعراف الآية : 12)

آمن به خالقاً ، قال :

﴿ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

(سورة الأعراف)

فالإيمان الذي لا يترجم إلى التزام وإلى سلوك لا قيمة له إطلاقاً ، فالإيمان شرط لازم غير كافٍ ، المشكلة الكبرى أن المسلمين يتوهمون بأنهم مؤمنون و ينبغي أن ينتصروا ، لا ، الإيمان شرط لازم غير كاف ، طبعاً للتوضيح :

رأس الغاز لا قيمة له من دون أسطوانة غاز ، وهذه الأسطوانة لا قيمة لها أيضاً من دون رأس ، هما متكاملان، نقول : كل من الأسطوانة والرأس شرط لازم غير كافٍ .

أول شرط الإيمان الذي يحمل على طاعة الله .

2 . الإعداد :

الشرط الثاني : الإعداد ، قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 70)

سمعت بعض قادة المقاومة في حرب غزة أنهم قالوا : يا رب أعددنا ما نستطيع ، هذه الكلمة تأثرت بها كثيراً ، أعددنا ما نستطيع .

يجب أن تؤمن الإيمان الذي يحملك على طاعة الله ، ويجب أن تعد العدة المتاحة لك ، عندئذٍ تكون قد قدمت شرطي النصر ، هذه شروط النصر .

أنواع النصر :

1 . النصر الاستحقاقي :

ولكن للنصر أنواع كثيرة ، من هذه الأنواع النصر الاستحقاقي ، أنت حينما تؤمن الإيمان الذي يحملك على طاعة الله ، وحينما تعد للعدو ما تستطيع ، عندئذٍ تنتصر استحقاقاً ، أنت مفتقر ، أنت موحد ، أنت أعددت العدة واستعنت بالله .

أستاذ جميل الموقف الدقيق جداً ، والرائع ، والإيماني الصحيح أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، طبعاً سهل جداً أن تأخذ بالأسباب وأن تعتمد عليها ، وأن تؤلهها فتقع في وادي الشرك كما هم الغربيون ، والأسهل من ذلك ألا تأخذ بها أصلاً ، وتعتمد على توفيق الله الساذج ، تعتمد على التواكل لا التوكل ، ألا تأخذ بها، لكن البطولة أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

هذا النصر الأول استحقاقي ، قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾

(سورة آل عمران الآية : 123)

2 . النصر التفضلي :

أما النصر الثاني هو النصر التفضلي ، أحياناً لحكمة بالغةٍ بالغة ينصر الله من لا يستحق النصر ، لكن الله عز وجل يكشف لنا بعد حين هذه الحكمة ، قال تعالى :

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾

(سورة الروم)

والحقيقة الدقيقة أن هذه الآية فيها إعجاز إخباري مستقبلي ، فالله عز وجل أخبرنا أن الروم سينتصرون بعد أن انهزموا مع الفرس .

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

(سورة الروم)

والملمح الدقيق بالآية أن الله أثبت لصحابته الكرام فرحهم بانتصار الروم ، لأن بينهم قواسم مشتركة ، القواسم المشتركة الإيمان بالله واليوم الآخر ، هناك فوارق لكن هناك قواسم مشتركة .

فالمؤمن ينبغي أن يقف الموقف المناسب في هذه الآية ، هذا نصر تفضلي .

3 . النصر الكوني :

وهناك نصر آخر هو النصر الكوني ، كلا الفريقين المتحاربين شارد عن الله الأقوى ينتصر ، الذي يملك سلاحاً إصابته أقوى ينتصر ، الذي يملك سلاحاً مداه المجدي أكبر ينتصر ، الذي يملك الأقمار الصناعية ينتصر ، الذي معه ثلاثين دولة حلفاء ينتصر ، الذي معه أموالاً طائلة ينتصر ، هذا نصر كوني ، الطرفان شردا عن الله عز وجل ، الأقوى ينتصر ، الأقوى عسكرياً ، والأقوى إعداداً ، والأقوى عدة ، وعتاداً ...إلخ .

4 . النصر المبدئي :

لكنني أريد أن أبشر هؤلاء الذين ماتوا واستشهدوا في حرب ولم يحققوا النصر ، هؤلاء انتصروا نصراً مبدئياً ، لأن المنية وافتهم وهم موحدون ، مؤمنون ، مستقيمون ، هذا النصر يسمى النصر المبدئي ، وهو ثمين جداً ، والدليل:

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾

(سورة البروج)

أصحاب الأخدود لم ينتصروا بل أحرقوا ، لكنهم ماتوا موحدين ، ماتوا مؤمنين ، وماتوا طائعين .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

ختاماً فضيلة الدكتور إن أردنا النصر فعلينا بطريقين ؛ الإيمان والإعداد ، جزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم ، ونشكر لكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (18-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 4 : هل حالة الذل مستمرة وهل مد الطغاة إلى ما لا نهاية ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة ".

ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

تحدثنا عن الجهاد بأنواعه ، وتحدثنا عن النصر ، وأن عوامل النصر إيمان وإعداد ، انطلاقاً من الواقع الذي نعيش فيه ، وما فيه من إشكاليات ، فهل حالة الذل مستمرة وهل مد الطغاة إلى ما لا نهاية ؟.

لا يمكن لطاغية على وجه الأرض أن يكون طاغية إلا ويوظف الله طغيانه لخدمة دينه :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ جميل بادئ ذي بدء : لئلا يصاب المسلمون وقد أصيبوا بحالة اسمها اليأس أو الإحباط ، أو ثقافة الطريق المسدود ، اليأس والإحباط ، وثقافة الطريق المسدود قد تجعلهم لا يصدقون أي نصر ، هذه حالة خطيرة جداً ، وأنا أقول دائماً : أخطر حالة أن يهزم الإنسان من داخله .

لذلك لئلا يصاب المسلمون بالإحباط ، واليأس ، والسوداوية ، ولئلا يقولوا قد انتهينا ، ولئلا يقع المسلمون في حالة من الطريق المسدود ، هناك حقائق لابد من سردها :

أولاً : لا يمكن لطاغية على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة أن يسمح الله له أن يكون طاغية إلا ويوظف الله طغيانه لخدمة دينه والمؤمنين من دون أن يشعر ، ومن دون أن يريد ، وبلا أجر ، وبلا ثواب ، طالبني بالدليل ، لأنه لولا الدليل لقال من شاء ما شاء ، وأنا أتمنى من كل أخ كريم مشاهد أن يتسلح بالمعرفة ، ألا يرفض شيئاً إلا بالدليل ، وألا يقبل شيئاً إلا بالدليل ، لأن " هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم " .

((ابن عمر دينك دينك ، إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا .))

[ابن عدي عن ابن عمر]

الدليل : أنه ما من طاغية إلا ويوظف الله طغيانه لخدمة دينه والمؤمنين ، لقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ﴾

(سورة القصص الآية : 4)

أي استخدم ورقة الفتن الطائفية ، وهذا شأن كل الطغاة ، وهي الورقة الرابحة بأيديهم ، والمؤمنون لوعيهم ، وفهمهم الدقيق والعميق ، وإخلاصهم ، يستطيعون إسقاط هذه الورقة .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

الفتن الطائفية ورقة رابحة بأيدي الطغاة فعلينا إسقاطها و القضاء عليها :

الآن :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

(سورة القصص)

إذاً الطاغية من دون أن يشعر ، ومن دون أن يريد ، طغيانه يدفع الناس إلى باب الله ، طغيانه يعمق فهم الناس لحق الله عليهم ، لأنها شَدِةٌ وراءها شَدة إلى الله ، لأنها محنة وراءها منحة من الله ، فالطغيان له وظيفة قد لا ننتبه إليها .

مثلاً : حرب غزة وحدتنا كمسلمين ، أثارت أعماق أعماقنا النبيلة ، ظهرت تضحيات تفوق حدّ الخيال ، حرب غزة محنة كبيرة ، لكن لها إيجابيات قد لا نعلمها إلا بعد حين ، هذه الحقيقة الأولى أن الطغيان يوظف .

الله عز وجل لا يسمح لجهة أن تتأله :

الشيء الثاني : لا شيء يستمر ، كيف أن كل إنسان له أجل ينتهي ، وسبحان من قهر عباده بالموت ، وأيضاً :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾

(سورة الأعراف الآية : 34)

لا يوجد أمة تستطيع أن تستمر ، لأنه حينما تستمر في طغيانها كأن الله ألهها ، لذلك الله عز وجل لا يسمح لجهة أن تتأله ، لذلك :

((الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منه أدخلته النار))

[أخرجه ابن ماجه وابن حبان عن عبد الله بن عباس]

إذاً :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾

الشيء الآخر الدعوة مستمرة ، شيء لا يصدق .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 36)

الطائلة ، المليارات ، يخططون ، يسهرون ، يخططون لإلغاء الإسلام ، والإسلام يزداد قوة ، الشيء العجيب أن الذي أراد إلغاء الدين هو غبي جداً ، وساذج جداً ، وما علم أن الطرف الآخر هو الله ، خالق السماوات والأرض، لذلك قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 36)

الله جلّ جلاله ألزم ذاته العلية بهداية الخلق والهداية الإلهية لا يمكن أن تقف :

إذاً الدعوة مستمرة ، بل إنني أرى لو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يفسدوا على الله هدايته لخلقه لا يستطيعون، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾

(سورة الليل)

وكلمة على إذا جاءت مع لفظ الجلالة يقول عنها العلماء : إن الله جلّ جلاله ألزم ذاته العلية بهداية الخلق ، فالهداية الإلهية لا يمكن أن تقف ، ولا يمكن أن يوقفها إنسان ، ولا يمكن أن يمنعها إنسان ، لأنه عندئذٍ يريد أن يطفئ نور الله بفمه .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾

(سورة التوبة الآية : 32)

وهذا شيء مستحيل ، تصور إنساناً توجه إلى الشمس ونفخ عليها من أجل إطفائها، يكون أغبى الأغبياء ، والحق كالشمس ، فلذلك لا يستطيع إنسان أن يلغي هداية الله عز وجل ، لكنهم يهددون ، يتوعدون ، يخططون ، لكن بالنهاية لا ينتصرون ، هذا الدين له خاصة عجيبة ، أنه إذا دعمته يزداد قوة ، وإذا حاربته يزداد قوة ، يزداد قوة شئت أم أبيت ، يزداد قوة بدعمك له ، أو بمحاربتك إياه ، بل إن الذي يحارب الدين كأنه يحاول إطفاء النار بالزيت ، شيء عجيب ! لأن الدين هواء ، هذا الهواء لا يحتكر ، والدين عظمته أنه دين جماعي ، ودين فردي ، لو أن الجماعة أعرضت عنه كان ديناً فردياً ، بإمكانك أن تستقيم على أمر الله ، وأن تنتفع من كل خصائص الدين وحدك .

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

(سورة العنكبوت الآية : 69)

لا تستطيع جهة في الأرض مهما قويت أن تفسد على الله هدايته لخلقه :

إذاً هذا الدين لا يمكن أن يلغى ، والأقوياء فهموا هذه الحقيقة فماذا فعلوا ؟ أراده تفجيره من الداخل ، إلغاء الدين مستحيل ، بقي أن يفجروه من الداخل عن طريق التشويه ، تشويه رجال الدين ، الصناع أشخاص كرجال دين ، يرتكبون الأخطاء الفادحة من أجل تشويه سمعة الدين ، فهذه العملية اسمها التفجير من الداخل ، أو عن طريق الفتاوى التي تحل كل المعاصي ، أو عن التأويل السيئ للقرآن والسنة ، أو عن طريق إلغاء السنة أصلاً ، هناك دعوات هدفها تفريغ الدين من مضمونه ، فالدين دين الله لا يمكن أن يوقفه أحد ، لكنهم يحاولون .

بالمناسبة محاولات أعداء الدين لإلغاء الدين تجري لكنها لا تنجح ، أنا حينما أقول: إن الله حفظ كتابه من أن يزور ليس معنى هذا أنه لا تجري محاولة ، لكن المعنى الدقيق أن هذه المحاولات لا تنجح .

فلذلك لا تستطيع جهة في الأرض مهما قويت أن تفسد على الله هدايته لخلقه

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾

﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾

(سورة النحل الآية : 9)

من خطط ليبني مجده على أنقاض الشعوب فنجاح خططه يتناقض مع عدل الله ووجوده :

﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 23)

هذه نقطة دقيقة في الموضوع ، مثلاً ، هذه العصا الغليظة ، الغليظة جداً في المنطقة ، التي وضعت لتأديب أي دولة في الشرق الوسط هذه العصا الغليظة كُسرت مرتين إسرائيل كُسرت في عام 2006 ، ومرة في عام 2008، إذاً :

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة يوسف)

الشيء الآخر : هو أن جهة قوية جداً أرادت أو خططت لبناء مجدها على أنقاض الشعوب ، وبناء قوتها على إضعاف الشعوب ، وبناء غناهم على إفقار الشعوب ، وبناء عزها على إذلال الشعوب ، هذه الجهة القوية جداً العملاقة التي ليس فوقها إلا الله ، لا يمكن أن تنجح خططها على المدى البعيد ، الكلمة الدقيقة التي أؤمن بها بكل خلية في جسمي ، وبكل قطرة في دمي ، أن هذه الجهة القوية جداً ، العملاقة ، المتفوقة ، حينما تخطط أن تبني مجدها على أنقاض الشعوب نجاح خططها على المدى البعيد لا يتناقض مع عدل الله فحسب بل مع وجوده ، أنا أطمئن أي إنسان الحال لا يستمر ، بل إن الخط البياني في طريقه إلى الهبوط ، والشيء ملاحظ ،

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ولكن البطولة الكبرى ألا ينفرد الباطل بالساحة ، ولا نقلق على هذا الدين إنه دين الله ، بل ينبغي أن نقلق ما إذا سمح الله لنا أو لم يسمح أن نكون جنوداً له .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (19-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 5 : من هو المسؤول عن الدعوة إلى الله؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأحبة ، أهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج : " الإسلام منهج حياة ".

وأرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

سبق الحديث عن الجهاد ومكانته ، والنصر وأسبابه ، وبشرى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، ماذا عن جهاد الدعوة خصوصاً ؟ ومن هو المسؤول عن الدعوة إلى الله عز وجل ؟.

الدعوة إلى الله أعلى مقام يناله الإنسان :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أستاذ جميل النبي عليه الصلاة والسلام قال الله عنه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾

(سورة الأحزاب)

الدعوة إلى الله أعلى مقام يناله الإنسان ، والله عز وجل يقول :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾

(سورة فصلت الآية : 33)

أي لن تجد على وجه الأرض إنساناً أفضل عند الله :

﴿ مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

(سورة فصلت)

الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف :

إلا أن الدعوة إلى الله يتوهمها الناس فرض كفاية ، إذا قام بها البعض سقطت عن الكل ، وهذا الكلام بعضه صحيح ، لقول الله عز وجل :

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾

(سورة آل عمران الآية : 104)

والمن للتبعيض ، طبعاً الدعوة إلى الله كفرض كفاية تحتاج إلى تفرغ ، وإلى تبحر، وإلى تعمق ، وإلى قدرة فائقة على رد كل الشبهات حول الدين ، هو اختصاص ، والاختصاص فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل، لكن الذي قد لا يصدقه معظم الناس أن الدعوة إلى الله فرض عين ، كيف فرض عين ؟ لماذا يصلي المسلم ؟ لأن الصلاة فرض ، فإذا ثبت بالدليل القطعي أن الدعوة إلى الله فرض فلابد من أن يكون كل مسلم داعية إلى الله بطريقة أو أخرى ، فالدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((بلّغُوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

مثلاً : إنسان حضر خطبة جمعة تأثر بها تأثراً بالغاً ، ينبغي أن يجعلها محور حديثه في هذا الأسبوع ، لأقربائه، لجيرانه ، لشركائه في المحل ، لأصدقائه ، لزملائه ، إذاً جعل من هذه الخطبة أداة دعوية طوال الأسبوع ، والشيء الدقيق جداً أن الدعوة إلى الله كفرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف فقط .

التواصي بالحق أحد أركان النجاة :

أنا حينما أؤكد بالدليل القطعي أن الدعوة إلى الله فرض عين ، قد يقول أحدهم أين الدليل ؟ قال تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا ﴾

(سورة العصر)

فالإنسان بنص هذه الآية خاسر لا محالة ، إلا أن الله استثنى من الخسارة :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(سورة العصر)

فالتواصي بالحق هو الدعوة إلى الله وهو فرض عين ، بل إن التواصي بالحق أحد أركان النجاة ، بل إن المؤمن لا يستقر في قلبه الإيمان إلا ويعبر عن ذاته بحركة دعوية نحو الآخرين ، هذه حقيقة .

من يتبع رسول الله ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة :

أما الدليل الثاني أوضح ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

(سورة يوسف الآية : 108)

فالذي يتبع رسول الله ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة ، ومعنى بصيرة أي بالدليل المؤصل والتعليل ، إذاً الذي لا يدعو إلى الله لا يتبع رسول الله ، والذي لا يتبع رسول الله لا يحب الله ، والدليل :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾

(سورة آل عمران الآية : 31)

صار معنا دليلان قويان على أن الدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم في حدود ما تعلم ومع من تعرف .

الأستاذ جميل :

إذاً الدعوة قسمين ، القسم الأول فرض عين وضمن حدود الإمكان ، والقسم الثاني الخاص فرض كفاية .

ما من شيء يتذبذب بين أن يكون أرقى عمل وبين أن يكون أتفه عمل كالدعوة إلى الله :

الدكتور راتب :

إلا أن هناك مفارقة حادة أستاذ جميل ، أنا أرى أنه ما من شيء يتذبذب بين أن يكون أرقى عمل على الإطلاق يرقى إلى صنعة الأنبياء ، وبين أن يكون أتفه عمل على الإطلاق لا يستهل إلا ابتسامة ساخرة كالدعوة إلى الله، ترقى ، وترقى ، وترقى حتى تقترب من صنعة الأنبياء ، وتسقط ، وتسقط ، وتسقط حتى تغدو عملاً سخيفاً لا تثير أي اهتمام ، متى ترقى ؟ ومتى تسقط ؟ حينما تطبق ما تقول ، وحينما تخلص فيما تقول ، وحينما تبذل من أجل الدعوة الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ، يمكن أن ترقى عندئذٍ بدعوتك ، أما حينما يتاجر الإنسان بالدعوة ويستخدم الدين كورقة رابحة من أجل الدنيا ، كقوله تعالى :

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾

(سورة التوبة الآية : 9)

هنا المشكلة ، مرة في بلد إسلامي في إفريقيا هناك وضع صعب شرحه بالتفصيل ، صدر قرار بإعدام عالم كبير، فجاؤوا لهذا العالم بشيخ ليلقنه الشهادة ، عالم كبير ترك تفسيراً كبيراً ، فجاؤوا له بشيخ ليلقنه الشهادة ، فقال هذا العالم الجليل لهذا الشيخ : أنا أموت من أجل لا إله إلا الله ، أما أنت فترتزق بها .

فالفرق بين الدعوة إلى نهج الأنبياء وبين الدعوة الساقطة ، بين أن تموت من أجلها ، وبين أن ترتزق بها ، هذا هو الفرق .

لذلك النقطة الدقيقة جداً أن الدعوة تتذبذب بين أن تكون أرقى عمل على الإطلاق يرقى إلى صنعة الأنبياء ، وبين أن يكون أتفه عمل على الإطلاق لا يستأهل إلا ابتسامة ساخرة .

الدعوة إلى الله دعوتان ؛ دعوة إلى الله خالصة ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله :

إلا أنني أريد أن أضيف أن الدعوة إلى الله دعوتان ، دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، الدعوة الخالصة من خصائصها الاتباع ، قل : إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، من خصائص الدعوة إلى الله الخالصة الاتباع ، ومن خصائص الدعوة إلى الذات الابتداع ، ينبغي أن تبتدع حتى توهم الناس أنك جئت بجديد، والحقيقة لا جديد في الدين ، الدين توقيفي ، وإذا تجاوزنا وسمحنا لأنفسنا أن نسمي التجديد في الدين فلا يعني إلا أن تنزع عن الدين كل ما علق به مما ليس منه ، فالدعوة الخالصة إلى الله من خصائصها الاتباع ، أما الدعوة إلى الذات من خصائصها الابتداع ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها التعاون ، والدعوة إلى الذات المغلفة بدعوة إلى الله من خصائصها التنافس ، علامة إخلاصك أن تتعاون ، وعلامة انتفاعك في الدعوة أن تتنافس ، الآخرة توحدنا ، والدنيا تفرقنا ، من خصائص الدعوة إلى الله الاعتراف بالآخر ، وتقدير الآخر ، ومن خصائص الدعوة إلى الذات إلغاء الآخر، وجحد مكانة الآخر ، وتسفيه الآخر ، من خصائص الدعوة الخالصة إلى الله قبول النصيحة ، ومن خصائص المنتفع بالدعوة ألا يقبلها ، فصار عندنا دعوة خالصة متألقة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله أساسها المكاسب الدنيوية .

الدعوة إلى الله أعظم عمل على الإطلاق :

أستاذ جميل ، حينما قال الله عز وجل لسيدنا موسى :

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾

(سورة طه)

لا يوجد عمل أعظم من الدعوة ، هذه خصوصية لهذا النبي الكريم :

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾

كطرفة ، سأل إنسان كم الزكاة ؟ قال له : عندنا أم عندكم ؟ قال له : عجيب ! كما دين يوجد ؟ قال له : عندكم اثنان ونصف بالمئة ، أما عندنا العبد وماله لسيده هذا معنى

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

(سورة الأنعام)

فالدعوة إلى الذات هكذا ، والدعوة إلى الله هكذا ، فلذلك الدعوة إلى الذات لا تنجح ، بينما الدعوة إلى الله الخالصة هي التي تستقطب .

لذلك قالوا : حال واحد في ألف أبلغ من قول ألف في واحد .

الانتماء الحقيقي هو الانتماء إلى مجموع المؤمنين :

النقطة الدقيقة التي أريد أن تكون واضحة هي قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 10)

وما لم يكن انتماؤك لمجموع المؤمنين فلست مؤمناً ، الانتماء إلى فقاعات صغيرة تسبب متاعب ، وخصومات ، وتنافس ، وهذا بعض حالات الجماعات الدينية المتنافسة ، التي تتراشق التهم ، أما الانتماء الحقيقي انتماء إلى مجموع المؤمنين ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 10)

أخوة الإيمان أرقى أخوة ، فقد ورد في الحديث القدسي :

((وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ ، والمتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم عليها النبييون يوم القيامة))

[أخرجه ابن حبان عن معاذ بن جبل]

الذي أتمنى أن يكون واضحاً إن لم يكن انتماء الإنسان إلى مجموع المؤمنين فهناك مكاسب يحققها ، فلذلك لا يريد أن يوزعها على الآخرين ، أما حينما يكون العمل خالصاً لوجه الله هذا طالب علم .

أنا أذكر كلمة قالها بعض الشيوخ أعجبتني ، قال له : يا بني ائتِ لي بإنسان من الملهى إلى المسجد ، لا من مسجد إلى مسجد .

الدعوة إلى الله عمل عظيم لأنها تدعو الناس إلى الله والسعادة والسكينة والاستقرار :

بطولتك أن تستطيع إقناع الطرف الآخر ، أن تأخذ بيد الشاردين إلى الله عز وجل، والدعوة عمل عظيم لأنها تدعو الناس إلى الله ، تدعوهم إلى السعادة ، تدعوهم إلى السكينة ، إلى الاستقرار ، إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، والآية التي بدأت بها هذا اللقاء الطيب قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

أي لن تجد على وجه الأرض إنساناً أفضل

﴿ مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

ومرة قابلت الشيخ الشعرواي . رحمه الله تعالى . وسألته سؤالاً متعلقاً بنصيحة أقدمها إلى الدعاة ، فقال لي كلاماً مختصراً جامعاً مانعاً : ليحذر الداعية أن يراه المدعو على خلاف ما يدعوه .

أي الدعوة إلى الله الخالصة تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها ، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينصرف الأخوة المؤمنون إلى دعوة إلى الله كفرض عين في حدود ما يعلمون ، ومع من يعرفون .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

للحديث بقية إن شاء الله فضيلة الدكتور لأن الوقت أدركنا ، نشكر لكم أيها الأخوة حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (20-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 6 : دور الأمر بالمعروف والالتزام بما ندعو إليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج : "الإسلام منهج حياة " .

أرحب بضيفي فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور ، متابعة لحديث الدعوة إلى الله ما هو دور الائتمار بالمعروف والالتزام بما ندعو الناس إليه أولاً ؟.

من قواعد الدعوة إلى الله :

1 . القدوة قبل الدعوة :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أستاذ جميل ، هناك قواعد في الدعوة ، قواعد ذهبية ينبغي أن يأخذ بها الدعاة ، بل إنني أرى أن للنبي عليه الصلاة والسلام سنة خاصة هي سنة دعوية ، كيف دعا إلى الله ؟ كيف ألقى خطبه ؟ كيف عامل أصحابه ؟ ماذا فعل معهم ؟

كيف كان يمضي وقته معهم ؟ كيف كانت أحواله معهم ؟ مجموع هذه التساؤلات تشكل ما يسمى بالسنة الدعوية، والدعاة إلى الله إن أخذوا بهذه السنة تألقوا ، وإن لم يأخذوا بها تطرفوا .

فلذلك لو بحثنا في السنة النبوية عن مضامين هذه الدعوة بل عن قواعدها الذهبية لوجدنا أحد أكبر هذه القواعد ، القدوة قبل الدعوة ، لماذا ؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام أرسله الله مبلغاً ، وأرسله قدوة ، وأنا أرى أن مهمة القدوة أكبر بكثير ، وأخطر بكثير من مهمة التبليغ ، لأن القدوة تحتاج إلى سلوك ، فالله عز وجل قال :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

(سورة الحشر الآية : 7)

هذه مهمة التبليغ ،

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

لكن مهمة القدوة ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾

(سورة الأحزاب)

فلذلك النبي الكريم كان قدوة في بيته ، مع زوجاته ، مع أولاده ، مع جيرانه ، مع أصحابه ، في سلمه ، في حربه، في فقره ، في غناه ، كان قدوة ، من هنا تعد القدوة قبل الدعوة .

الداعية ما لم يكن مطبقاً لكل ما يقول فدعوته لن تنجح :

مرة ثانية ، قدوة النبي أبلغ في فهمه لكتاب الله من دعوته ، لأن دعوته تؤول تأويلاً ما أراده النبي ، أما السلوك حدي ، السلوك لا يحتمل التأويل بالضبط .

لذلك أنا أقول : القدوة قبل الدعوة ، الداعية ما لم يكن مطبقاً لكل ما يقول ، ما لم يكن مثلاً أعلى ، ما لم يكن قدوة ، أسوة ، دعوته لا تنجح ، قولاً واحداً .

سيدنا عمر . رضي الله عنه . كان إذا أراد إنفاذ أمرٍ جمع أهله وخاصته وقال: " إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وايم الله لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانته مني " .

فأصبحت القرابة من عمر مصيبة ، كان قدوة .

مرة رأى إبلاً سمينة ، قال : لمن هذه الإبل ؟ قالوا : هي لابنك عبد الله ، غضب أشد الغضب ، واستدعى ابنه وقال : لمن هذه الإبل ؟ قال : هي لي يا أبتِ ، اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى لتسمن فماذا فعلت ؟! فقال له سيدنا عمر : ويقول الناس : ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا بن أمير المؤمنين ، قال له : بع هذه الإبل وخذ رأسمالك ، ورد الباقي إلى بيت مال المسلمين .

فهذه القاعدة الأولى القدوة قبل الدعوة ، الناس لا يتعلمون بآذانهم ، بل إنهم يتعلمون بعيونهم ، لو سمع الابن مئة محاضرة عن الصدق ورأى أباه يكذب على أمه وكان معه في الطريق ، هذا الابن تعلم من موقف الأب أضعاف ما يتعلم من أقواله .

فلذلك إذا كان الكون قرآناً صامتاً ، و كان القرآن كوناً ناطقاً ، فالنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي .

لذلك الناس لا ينتفعون من رجل الدين إلا إذا كان مستقيماً ، ينتفعون من طبيب يحمل بورد ، ولا يعنيهم استقامته إطلاقاً ، يعنيهم علمه فقط ، ينتفعون من مهندس ، من طبيب ، من معلوماتي ، لكن لا يمكن أن ينتفعوا من إنسان مُدرس يُدَرّس خلاف ما يفعل ، هذه النقطة الدقيقة .

من طبق منهج الله عز وجل ولو بقي ساكتاً سيحقق آثاراً مذهلة :

لذلك أقول : الطريقة الفعالة الوحيدة المتألقة التي تثمر ثماراً يانعة أن تكون أنت القدوة ، فلذلك أنا وجدت مصطلحاً جديداً أعجبني هو الدعوة الصامتة ، قد تكون أكبر داعية وأنت صامت ، لماذا ؟ لأن الناس يتعلمون من استقامتك ، وقد ورد :

((واستقيموا يستقم بكم))

[أخرجه الطبراني عن سمرة بن جندب]

فالقدوة قبل الدعوة ، قبل أن تدعو كن قدوة .

فلذلك الإنسان إذا طبق منهج الله عز وجل ولو بقي ساكتاً سيحقق آثاراً مذهلة ، وأنا أتمنى أن يكون من بين الدعاة دعاة صامتون ، استقامتهم دعوة ، وتواضعهم دعوة ، ورحمتهم دعوة ، وأمانتهم دعوة ، وفضائلهم دعوة ، الناس يرون بأعينهم ، فالإسلام لا ينتشر بإلقاء الخطب الرنانة ، بل ينتشر بالمثل العليا .

فلذلك أنا أريد الآن مسلماً يتحرك ، لا أريد مسلماً أقرأه بالتاريخ ، طبعاً نحن نسعد كثيراً بأقوال سيدنا عمر والصحابة الكرام ، نريد مسلماً يعيش معنا ، صادقاً ، أميناً ، المسلم الصادق إن حدثك فهو صادق ، وإن عاملك فهو أمين ، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف ، هذه أركان الأخلاق ؛ الصدق ، والأمانة ، والعفة .

الأستاذ جميل :

إذاً فضيلة الدكتور هذه هي المهنة الأشق وهي الدعوة إلى الله ، لأنها دعوة بحال ليست مجرد دعوة لسان ولا مقال ، وإنما حاله يدل على صدق مقاله .

2 . الإحسان قبل البيان :

الدكتور راتب :

لكن يمكن أن نضيف قاعدة ثانية مهمة جداً ، الإحسان قبل البيان ، أنت بإحسانك تفتح قلب الآخر ، فيفتح عقله لبيانك ، أنا أرجح أن يكون الداعية مربياً ، يهتم بهذا الإنسان ، بعمله ، بزواجه ، برزقه ، بتأمين حاجاته ، هذه العلاقة الإيجابية بين المدعو والداعية لها أثر كبير جداً في نجاح الدعوة ، فلذلك كان عليه الصلاة والسلام كأنه أب ، وضع نفسه مع أقل أصحابه ، كل ثلاثة على راحلة وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة .

من اجتمع الإحسان فيه مع القدوة وهبه الله عز وجل قوة تأثير بالآخر :

لذلك أن تكون أنت محسناً هذا يفتح قلوب الآخرين لك فتنجح دعوتك .

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها))

[حديث قدسي رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

أنا والله لا أرى وسيلة فعالة للتأثير في الناس كالإحسان .

مرة سمعت قصة ، أن إنساناً باليونان جاء إلى تركيا سائحاً ، يبدو أنه وصل إلى مدينة جميلة جداً ، في أيام الصيف ، وهناك ازدحام شديد ، لم يتمكن من أن يجد مكاناً لينام ، لا بفندق خمسة نجوم ، ولا أربعة ، ولا ثلاثة، ولا بمكان ، و بقي حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً وهو يبحث عن مكان لينام فيه ، طرق باباً لا على التعيين ، طبعاً صاحب البيت تركي مسلم ، رحب به أشد الترحيب ، وقال له : أنا عندي بيت آخر تفضل نمّ في هذا البيت ، هيأ له طعاماً ، وأعطاه غرف النوم ، و قد كان بيته جيداً جداً ، فهذا اليوناني طرب أشد الطرب لهذا الكرم ، ولهذه المبادرة الطيبة ، وأقنعه أن عنده بيتاً آخر ، فلما استيقظ صبيحة اليوم الأول وجد هذا التركي ينام مع أهله تحت الشجرة ، أقسم لي أحد الأخوة الكرام . وهو الذي روى لي هذه القصة . أنه بعد حين أسلم هذا اليوناني .

((يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها))

[حديث قدسي رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

أنت حينما تحسن تفتح قلب الآخر ، فيفتح لك عقله لكلامك .

مرة ثانية وثالثة : القدوة قبل الدعوة ، والإحسان قبل البيان ، وهاتان قاعدتان ذهبيتان رائعتان للدعاة ، والداعية حينما يكون قدوة ، وحينما يكون مخلصاً ، وحينما يحسن للآخر ، يتولى الله جلّ جلاله أن يهبه قوة تأثير يفتقر إليها معظم الدعاة .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

دكتور لعل القدوة أن تكون تلك المنارة المضيئة في يوم عاصف التي يلجأ الناس إليها ، جزاكم الله خيراً ، وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (21-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 7 : قواعد وأسس الدعوة إلى الله 1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في حلقة جديدة من برنامج : "الإسلام منهج حياة ".

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور في معرض حديثنا عن الدعوة إلى الله عز وجل ، ثاني نوع من أنواع الجهاد ، وبعد أن ذكرنا أن الدعوة هي صنعة الأنبياء ، ووجوب صيانتها عن النزاعات الشخصية , وأن تكون القدوة قبل الدعوة ، كلها محاور تناولناها لابدّ من قواعد وأسس لهذه الدعوة ، فعلى ماذا تقوم الدعوة إلى الله ؟.

من قواعد الدعوة إلى الله :

1 . معرفة الآمر قبل الأمر :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أستاذ جميل ، لا بدّ من التذكير أننا في محطات عدة ، محطة العلاقة بالله ، والعلاقة بالأهل والأولاد , والعلاقة بمن حولنا , والعلاقة بالشأن العام , والعلاقة بالدعوة إلى الله عز وجل .

وبدأنا في لقاء سابق بقواعد الدعوة إلى الله , القاعدة اليوم الأساسية : الآمر قبل الأمر ، إذا عرفنا الآمر ثم عرفنا الأمر تفانينا في طاعة الآمر ، أما إذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في التفلت من الأمر كحال المسلمين اليوم .

المرحلة المكية في تاريخ الإسلام مرحلة تعريف بالآمر ، فالآيات المكية تتحدث عن الكون ، وعن اليوم الآخر ، وفي مرحلة التشريع جاء الأمر والنهي ، فأي دعوة إلى الله تغفل المعرفة بالآمر دعوة عرجاء لا تنجح ، وأي دعوة إلى الله تغفل التعريف بالأمر دعوة عرجاء لا تنجح ، فلابدّ من أن نعود إلى منهج النبي الكريم لأنه سيد الدعاة ، عرف بالآمر ثم عرف بالأمر .

التفكر بالكون يقودنا إلى معرفة الله و يضعنا وجهاً لوجه أمام عظمة الله :

لذلك الله عز وجل جعل الكون مظهراً لأسمائه الحسنى ، وجعل التفكر في الكون أحد أكبر العبادات ، والتفكر بالكون تتعرف من خلاله إلى الله ، وقد تقف وجهاً لوجه أمام عظمة الله ، والتفكر بالكون أوسع باب ندخل منه على الله ، وأقصر طريق إلى الله .

غدة إلى جانب القلب كُتب الطب من مئة عام إلى عقدين من الزمن تقول : لا وظيفة لها إطلاقاً ، غدة "التايموس" صغيرة جداً إلى جانب القلب ، توهم الأطباء أنه لا وظيفة لها ، لأنها تضمر كلياً بعد عامين ، ثم اكتشف أنها أخطر غدة في جسم الإنسان ، لأن كريات الدم البيضاء المقاتلة عناصر قوية معها سلاح فتاك ، لكنها لا تعرف الصديق من العدو ، تدخل هذه الكريات البيضاء التي سماها العلماء الخلايا التائية الهمجية ، إلى هذه الكلية الحربية تتعلم خلال سنتين من هو الصديق ، ومن هو العدو ، كُبّر هذا المدرج فإذا الخلايا التائية التي كانت همجية قبل التعلم ، والتي تخرجت فأصبحت مثقفة ، عرفت الصديق من العدو ، وهناك مخرجان امتحانيان ، الأول تعطى الخلية صديقاً فإن قتلته تُقتل وترسب ، وتعطى عدواً فإن لم تقتله تُقتل وترسب ، هذا

الجيل المتخرج يتولى بنفسه تعليم الأجيال اللاحقة ، عندئذٍ تنتهي مهمة هذه الكلية وتضمر ، في الستين أو السبعين يضعف التعليم ، ينشأ من ضعف التعليم ما يسمى بالخرف المناعي ، هذا الخرف المناعي سبب لبعض الأمراض منها التهاب المفاصل ، وهو من أوسع الأمراض انتشاراً في العالم .

التفكر يقود إلى معرفة الله و معرفة الله تقود إلى طاعته :

لذلك في جسم الإنسان دقائق مذهلة ، فنحن كيف نعرف الله ؟ من صنعته الدقيقة، من حكمته البالغة ، من دقة المخلوقات التي خلقها ، فالبعوضة تزن واحد على ألف من الغرام، وفي رأسها مئة عين ، وفي فمها ثمانية وأربعون سناً ، وفي صدرها ثلاثة قلوب ، قلب مركزي ، وقلب لكل جناح ، وفي كل قلب أذينان ، وبطينان ، ودسامان ، ومعها جهاز استقبال حراري . رادار . حساسية هذا الجهاز واحد على ألف من الدرجة المئوية ، ومعها جهاز تحليل للدم ، ما كل دم يناسبها ، ومعها جهاز تمييع للدم ، ومعها جهاز تخدير ، في خرطومها ست سكاكين ، في أرجلها مخالب ومحاجم ، هذه صنعة الله عز وجل ، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾

(سورة البقرة الآية : 26)

فالصنعة تدل على الصانع ، والحكمة تدل على الحكيم ، والتسيير يدل على المسير ، والخلق يدل على الخالق ، فنحن إذا تفكرنا في السماوات والأرض عرفنا الله ، فإذا عرفنا الله تفانينا في طاعته ، أما إذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في التفلت من الأمر ، لذلك نقول : الآمر قبل الأمر ، هذه قاعدة من قواعد الله ، ينبغي أن نُعرّف الناس بالخالق ، بأسمائه الحسنى ، بصفاته الفضلى ، بقوته , بغناه ، بفضله ، برحمته ، بحكمته ، برأفته، عندئذ ننصع لأمره ، هذه قاعدة من أهم قواعد الدعوة إلى الله .

الأستاذ جميل :

إذاً القاعدة الأولى هي : معرفة الآمر قبل الأمر حتى نتفنن في طاعته .

2 . الأصول قبل الفروع :

الدكتور راتب :

أما القاعدة الثانية : الأصول قبل الفروع ، أي وحدة المسلمين أصل ، فإذا اختلف المسلمون على عدد ركعات التراويح هذا الاختلاف يتناقض مع الأصل ، التراويح سنة ووحدتنا فرض ، فالمسلمون حينما يبتعدون عن مقاصد الشريعة الكبرى ، عن فرائض هذا الدين ، ويختلفون في الجزئيات ، وقعوا في متاهة كبيرة ، ينبغي أن ننتبه إلى الأصول والفروع معاً ، أن ننتبه إلى مقاصد الشريعة وتفاصيلها ، أما إذا أغلفنا مقاصدها وأغفلنا الأصول سنقع في متاهات الفروع ، وأحد أكبر أمراض المسلمين أنهم غرقوا في الجزئيات ، وغفلوا عن الكليات ، وغفلوا عن المقاصد ، وغفلوا عن الكبرى ، فلذلك مزقت وحدتهم ، هذه قاعدة ثانية ومن أهم القواعد .

3 . المبادئ لا الأشخاص :

وهناك قاعدة ثالثة ، هناك المبادئ لا الأشخاص ، المبدأ أولاً ، ولعل البشرية تمر أو مرت بمراحل ثلاث ، مرحلة المبادئ هذه أرقى المراحل ، المبادئ فوق الأشخاص ، والمبادئ فوق الأشياء ، في مرحلة كان الشخص هو المقدم ، نحن في مرحلة الشيء مقدم ، أي قيمة المرء من مساحة بيته ، من مركبته ، من رقم كتب على مركبته ، فقيمته من مركبته، أو من رقم أُضيف إلى مركبته .

لذلك ورد في بعض الأحاديث : أنه في آخر الزمان قيمة المرء متاعه .

كلما تقدمت الأمة عظمت المبادئ وصغر الأشخاص :

في عهد سيدنا عمر في عصر المبادئ أسلم جبلة بن الأيهم ، هذا ملك الغساسنة وسيدنا عمر رحب به ، لأن النبي طلب النخبة ، ملك ، لكنه بعقلية ملك ، متكبر ، أثناء طوافه حول الكعبة ، بدوي داس طرف إزاره فانخلع رداؤه عن كتفه ، فالتفت نحو هذا البدوي ، وضربه ضربة هشمت أنفه ، فهذا البدوي ليس له إلا عمر ، شكاه إلى عمر ، فسيدنا عمر استدعى جبلة ، دار حوار بينهما ، صاغه شاعر معاصر صياغة رائعة ، فقال سيدنا عمر لجبلة : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ فقال جبلة : لست ممن ينكر شيا ، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيديا ، قال : ارضِ الفتى لا بد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه ، أو يهشمن الآن أنفك ، وتنال ما

فعلته كفك ، قال : كيف ذاك يا أمير ؟ هو سوقة وأنا عرش وتاج ! كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟ قال له عمر : نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً، فقال جبلة : كان وهماً ما كان في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني ، فقال عمر : عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

هذا عصر مبادئ ، والمبادئ لا الأشخاص ، والمبادئ فوق الأشخاص ، وكلما تقدمت الأمة عظمت المبادئ وصغر الأشخاص ، وكلما تخلفت الأمة كبر الشخص وصغر المبدأ ، هذه أيضاً قاعدة ذهبية من قواعد الدعوة إلى الله .

الأستاذ جميل :

التبعية للمبدأ وليس للشخص .

4 . المضامين لا العناوين :

الدكتور راتب :

هناك شيء آخر : هو المضامين لا العناوين ، نحن ألفنا أن نقسم الأشخاص إلى جماعات إسلامية ، فلابدّ أن نعرف فلاناً ينتمي إلى من ؟ هذه العقلية المتخلفة ، أنا يهمني من هذا الذي أمامي عقيدته السليمة ، سلوكه المستقيم ، ولا يعنيني إلى أية جماعة ينضم ، هذا التقسيم على أساس جماعات إسلامية ، والانتماء إلى الجماعات الإسلامية دون الانتماء إلى مجموع المؤمنين يعد خطأ فادحاً ، بل إنني أقول : ما لم يكن انتماؤك إلى مجموع المؤمنين فلست مؤمناً ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 10)

فنحن نريد المضامين ، فأنت أيها الإنسان ما مضمونك ؟ هل صحت عقيدتك ؟ أنت على العين والرأس ، إلى أي جماعة تنتمي ؟ أنا أنتمي إلى مجموع المؤمنين ، أنا لا أنتمي إلى فقاعة صغيرة تقيم عداوة مع فقاعة أخرى، أنا أنتمي إلى مجموع المؤمنين ، إلى مجموع المسلمين ، هذا الانتماء الذي يرضي الله عز وجل ، بل إن انتماء آخر يشرفنا جميعاً أن ننتمي إلى البشرية جمعاء ، فالإنسان أخو الإنسان ، وكلما ارتقى الإنسان اتسعت دائرة اهتمامه ، وكلما ارتقى الإنسان تعامل مع الآخر كأخيه ، والذي لا يغيب عن الذهن أن النبي ﷺ قال :

((لا يُؤمِنُ أحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك]

طبعاً هذا الحديث فسره العلماء بأوسع معانيه : الأخوة الإنسانية .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، كنا أيها الأخوة في حديث عن قواعد الدعوة إلى الله عز وجل ، وللحديث بقية إن شاء الله ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (22-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 8 : قواعد وأسس الدعوة إلى الله 2

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأحبة أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج " الإسلام منهج حياة ".

ضيف البرنامج فضيلة هو الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

مازال الحديث عن قواعد وأسس الدعوة إلى الله عز وجل متابعة لهذا العنوان الكبير ، هل لكم أن تحدثونا عن هذه القواعد والأسس ؟.

أية دعوة إلى الله ينبغي أن تتجه إلى عقل الإنسان بالعلم وإلى قلبه بالحب :

الدكتور راتب :

إن شاء الله تعالى ، أولاً : بما أن الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، وغذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، والإنسان حينما يلبي هذه الحاجات الثلاث معاً يتفوق ، أما إذا لبى حاجة واحدة يتطرف ، وفرق كبير بين التطرف وبين التفوق ، الآن ما دام الإنسان بعيداً عن جسمه ، عقل يدرك ، وقلب يحب ، أية دعوة إلى الله ناجحة ينبغي أن تتجه إلى عقل الإنسان بالعلم ، وإلى قلبه بالحب ، وأية دعوة تكتفي بالعقل دعوة عرجاء ، وأية دعوة تكتفي بالقلب دعوة عرجاء ، لأن الله سبحانه وتعالى خاطب القلب والعقل معاً ، خاطب العقل في آيات كثيرة ، وخاطب القلب في آيات كثيرة ، وفي آية خاطب العقل والقلب معاً

قال :

﴿ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾

(سورة الانفطار الآية : 6)

يخاطب القلب يستثيره .

﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾

(سورة الانفطار)

يخاطب العقل .

العلم العميق المؤصل والحب الصادق أصل كبير من أصول الدين :

أنا أرى أن الداعية ينبغي أن يتجه إلى عقول الناس بالعلم العميق المؤصل ، وإلى قلوب أخوته الكرام بالحب الصادق ، الذي هو أصل كبير من أصول الدين ، ذلك أن في الإنسان خطوطاً أربعة ، وكأن الحق دائرة تجمع تلك الخطوط ، خط النقل الصحيح ، وخط العقل الصريح ، وخط الفطرة السليمة ، وخط الواقع الموضوعي ، فأي شيء جاء به وحي السماء ؟ طبعاً الصحيح ، بتأويل صحيح وحي السماء ، فالحق ما قبله العقل الصريح غير التبريري ، وارتاحت إليه الفطرة السليمة غير المنطمسة ، وأكده الواقع الموضوعي غير المزور ، أي خط النقل الصحيح ، مع خط العقل الصريح ، مع خط الفطرة السليمة ، مع خط الواقع الموضوعي ، هذه أربعة خطوط تجتمع في دائرة الحق ، فإذا بحثت عن الحقيقة شيء يتوافق مع العقل ، والنقل ، والعاطفة ، والواقع ، لأن العقل مقياس أودعه الله فينا ، ولأن الفطرة مقياس أخلاقي أودعه الله فينا ، ولأن الوحي كلامه وشرحه المعصوم ، ولأن الواقع خلقه ، فإذا عادت الفروع الأربعة إلى أصل واحد فهي فيما بينها متساوية .

لذلك لا يعقل ولا يقبل أن يتناقض النقل مع العقل ، مستحيل ! .

الدعوة الناجحة إلى الله تخاطب القلب و العقل معاً :

هناك شيء آخر ، أنت حينما تدعو إلى الله على بصيرة أي بالدليل والتعليل ، ولولا الدليل لقال من شاء ما شاء، لولا الدليل لفقد الدين ، نحن عندنا أدلة ، ديننا دين أدلة حتى لو أن إنساناً رأى النبي عليه الصلاة والسلام ، وقال له كلاماً يختلف عن حديثه الشريف تُرد الرؤيا ويثبت الحديث ، لأن هذا الدين دين مؤصل ، دين مبادئ ، دين قيم ، دين أدلة ، دين نصوص لا دين أمزجة ، ودين أهواء .

فلذلك لا بد من أن نخاطب العقل بالعلم ، وأن نخاطب القلب بالحب ، أما إذا خاطبنا العقل وحده لم تنجح الدعوة، أما إذا خاطبنا القلب وحده لم تنجح الدعوة ، ينبغي أن نخاطب العقل والقلب معاً ، لأن الله جلّ جلاله خاطب العقل القلب معاً ، والدعوة إلى الله يجب أن تهتم بهذه القاعدة الثمينة جداً .

العالِم الحق يتسع قلبه للشباب و أسئلتهم :

هناك شيء آخر : إنسان شاب سأل النبي أن يسمح له بالزنا ، طبعاً الصحابة قاموا إليه بهذا التجاوز غير المعقول مع سيد الخلق ، فالنبي الكريم قال : دعوه ، تعال يا عبد الله ، الآن دعونا ندقق كيف خاطبه النبي ؟ قال : له يا هذا أترضاها لأمك ؟ قال : لا ، قال : ولا الناس يرضونه لأمهاتهم ، أترضاها لأختك ؟ لابنتك ؟ لعمتك ؟ لخالتك ؟ فهذا الشاب خاطبه النبي عليه الصلاة والسلام بلغة المنطق ، وفي الوقت نفسه خاطبه بلغة القلب ، أترضاه لأمك ؟

يخاطب قلبه ، مبادئه ، قيمه ، قال : لا ، فهذا الشاب قال : والله دخلت على رسول الله وما شيء أحب إليّ من الزنا ، وخرجت من عنده وما شيء أبغض إليّ من الزنا .

معنى ذلك أنه على الداعية أن يخاطب الشباب ، أي يقبل أسئلتهم غير المعقولة ، أن يتسع صدرهم لهم ، أن يحملهم على ما يحبون .

أبو حنيفة النعمان له جار مغنٍ أقلقه لسنوات طويلة ، يغني في الليل ، وله أغنية يحبها كثيراً ، أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ، فمرة افتقد صوته قال : لعل مكروهاً أصابه ، سأل عنه فإذا هو في السجن ، فذهب أبو حنيفة النعمان بكيانه الكبير ، ومكانته العلية إلى مدير السجن يشفع له ، فمدير السجن أعطاه هذا المغني ، ثم أركبه خلف دابته ، و قال : يا فتى هل أضعناك ؟ فقال : عهدا لله لن أعود إلى الغناء .

أنا تأثرت من هذه القصة ، أبو حنيفة النعمان قلبه الكبير اتسع لهذا الشاب الذي أقلقه بالغناء ، لو أن الدعاة إلى الله توسعوا بقلوبهم لهؤلاء الشباب ، لهم أسئلة كثيرة ، لهم أسئلة محرجة ، لهم أسئلة تنم عن جهل فاضح ، فالعالم الحق ينبغي أن يتسع لهؤلاء الشباب ولأسئلتهم ، فقال له : ائذن لي بالزنا ، كما يقول إنسان لوزير داخلية مع الفارق الكبير : ائذن لي بقتل إنسان ، مستحيل ! مهمته ضبط الأمن ، قال : ائذن لي بالزنا ، فحاوره النبي حواراً لطيفاً ، علمياً ، وقلبياً .

الأستاذ جميل :

دكتور ، لعل تربية النبي ﷺ لصحابته الكرام من أكبر قواعد الدعوة إلى الله عز وجل ، حيث كان يُعنى بتربيتهم ، وليس التعنيف أو النهر ، هل هي رحمة منه ﷺ ؟ أو أنه أسلوب يجب أتباعه ؟.

التربية لا التعرية من مبادئ التربية الدعوية :

الدكتور راتب :

رحمة ، وحكمة ، ومنهج ، لأنه الإنسان له كرامته ، أنا أقول دائماً : إن أردت أن تنصح فلتكن نصيحتك بينك وبين المنصوح ، لا أمام ملأ ، لأن هذه ليست نصيحة أمام الملأ ، إنها فضيحة ، فالبطولة أن أنقل له وجهة نظري في هذا الموضوع بيني وبينه .

لذلك من مبادئ التربية الدعوية : التربية لا التعرية ، أحد أصحاب النبي ﷺ اسمه حاطب بن بلتعة ، اجتهد اجتهاداً خاطئاً ، أرسل كتاباً لقريش إن محمداً سوف يغزوكم فخذوا حذركم ، جاء الوحي للنبي وأخبره بما فعل حاطب ، فأرسل النبي من يأخذ هذا الكتاب من المرأة التي تحمله ، واستدعى حاطباً ، قال : ما هذا يا حاطب ؟ سيدنا عمر يغلي كالمرجل قال له : ائذن لي يا رسول الله أن أضرب عنق هذا المنافق ، قال له : لا يا عمر إنه شهد بدراً ، انظر إلى وفائه ﷺ ، قال : تعال يا حاطب لمَ فعلت هذا ؟ قال له : والله يا رسول الله ما كفرت ولا ارتددت ، ولكن لي مال وأهل في مكة ، أردت أن أحفظ مالي وأهلي بهذه الطريقة ، وأنا موقن بنصرك , فقال النبي الكريم ببساطة ما بعدها بساطة: إني صدقته فصدقوه ، ولا تقولوا فيه إلا خيراً .

الأستاذ جميل :

مع أنها في كل القوانين خيانة.

الدكتور راتب :

طبعا لكن هذه نبوة ، هو صدقه لأنه كان صادقاً ، هذا الذي حصل , قال : ما كفرت ولا ارتددت لكن اجتهدت ولعلي أخطأت ، فاغفر لي ذلك يا رسول الله .

فلذلك نحن نريد أن نربي لا أن نعري .

الداعية الناجح يوازن بين الترغيب و الترهيب في دعوته إلى الله عز وجل :

مثلاً ينبغي أن تزاوج بين الترغيب والترهيب ، مثلاً عندنا بسورة مقطعين :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾

(سورة الحاقة)

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾

(سورة الحاقة الآية : 25)

القرآن ذكر نموذجين ، فما بال بعض الدعاة يتحدثون عن النار فقط ؟ حدثهم عن الجنة والنار ، رغبهم ورهبهم ، أما تكتفي بالترهيب هذا خطأ كبير ، وأن تكتفي في الترغيب هذا خطأ كبير ، لا بد من التوازن بين الترغيب وبين الترهيب.

شيء آخر : التيسير لا التعسير ، مرة رجل دخل الإسلام و هو فرنسي الأصل وتتلمذ على يد شيخ أزهري أبقاه ستة أشهر في أحكام المياه حتى خرج من جلده ، فترك الإسلام ، التقى بالإمام محمد عبدو فقال له : كلمة واحدة ، قال له : الماء الذي تشربه توضأ منه ، فأنا من أنصار التسهيل .

التيسير لا التعسير :

لذلك الإسلام الآن يحتاج إلى أشياء ثلاثة ، يحتاج إلى عقلنة ، لأن العقل أصل في الدين ، ويحتاج إلى تطبيق، ويحتاج إلى تبسيط ، المسائل العويصة التي لا تقع في مليون عام لا داعي للبحث فيها ، أرأيت إن كنت كذا وكذا ، الفقهاء كانوا في فراغ كبير ، وكانوا على ثقافة عالية جداً ، فأمضوا أوقات مديدة فيما يسمى أرأيتيات ، هذه القضايا لا تقع ولا في مليون عام مرة ، فلو حذفنا هذه القضايا الشائكة المعقدة التي لا تقع ، وأبقينا على الأمور الواضحة الميسرة ، أنا من أنصار تبسيط الدين لأنه كالهواء ، هواء يحتاجه الناس جميعاً ، ينبغي أن يكون مبسطاً ، وواضحاً ، ومدللاً عليه بالأدلة الصحيحة .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، وأحسن إليكم ، كنا أيها الأخوة في أساليب الدعوة ، قواعد الدعوة إلى الله عز وجل ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (23-30) : علاقة الإنسان بعمله 1 : خصائص الاقتصاد الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد ، في برنامج : "الإسلام منهج حياة ".

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل .

الأستاذ جميل :

دكتور تدخل الشرع الحنيف في العمل وآلياته ، وحدد له طرقاً سليمةً ، وأمره بها، وسنتكلم لاحقاً في هذه العناوين، ولكن بداية ما هي خصائص الاقتصاد الإسلامي ؟.

المحطات الأساسية في حياة الإنسان :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

قبل أن أجيب عن هذا السؤال ، أريد أن أذكر الأخوة المشاهدين بأننا دخلنا في المحطة السادسة ، ذلك أن هذا البرنامج ينطلق من محطات أساسية في حياة الإنسان ، محطة علاقته مع الله ، ومحطة علاقته مع أهل بيته وأولاده ، ومحطة علاقته مع من حوله من الناس ، ومحطة علاقته بالشأن العام الدولي ، ومحطة الدعوة إلى

الله،لأن الدعوة إلى الله كما بينا فرض عين على كل مسلم ، والآن دخلنا في محطة العمل ، الإنسان له عمل يرتزق منه ، وسوف تلي محطة سابعة هي محطة العناية بالصحة ، فنحن في المحطة السادسة محطة العمل الذي يرتزق الإنسان منه .

من خصائص الاقتصاد الإسلامي أن المال مال الله و الإنسان مستخلف فيه :

الآن الإجابة عن سؤالك اللطيف : الاقتصاد الإسلامي له خصائص ، أولى خصائصه أن المال مال الله ، وأن الإنسان مستخلف فيه ، أي يده عليه يد الأمانة ، ومحاسب عن طريقة كسبه ، وعن طريقة إنفاقه ، والاقتصاد الإسلامي يؤكد أن المال مهمته تقييم السلع وأداة للتبادل التجاري ، ممنوع أن نتاجر بالمال ، المال قيمة وليس سلعة .

الاقتصاد الإسلامي قائم على الرقابة الذاتية :

الشيء الآخر أن الاقتصاد الإسلامي جزء من الإسلام ، أي العمل الصالح جزء من حياة المؤمن ، والعمل الصالح جزء من الاقتصاد الإسلامي ، مبادئ الإسلام ، قيم الإسلام، مطبقة في هذا الاقتصاد ، والاقتصاد الإسلامي تعبدي بمعنى أن الحرفة الذي يحترفها الإنسان والتي يرتزق منها إذا كانت في الأصل مشروعة ، وسلك بها الطرق المشروعة ، وابتغى منها كفاية نفسه، وأهله ، وخدمة الناس ، ولم تشغله عن فريضة أو واجب ديني ، انقلبت إلى عبادة ، فالإنسان وهو في متجره ، وهو يستورد البضاعة للمؤمنين، وهو يبحث في حقله عن وسائل تنمية مزروعاته ، هو في عبادة ، لأن العمل الذي يحترفه الإنسان ما دام في الأصل مشروعاً وسلك به الطرق المشروعة ، وابتغى منه كفاية أهله ، ونفسه ، وخدمة الناس ، ولم يشغله عن واجب ديني أو فرض ، انقلب إلى عبادة ، لذلك قالوا: عادات المؤمن عبادات ، وعبادات المنافق سيئات ، والاقتصاد الإسلامي قائم على الرقابة الذاتية ، لأنه مهما كان الإنسان قوياً لا يستطيع أن يراقب كل شيء .

التوازن بين المصلحة الفردية والجماعية في النظام الاقتصادي الإسلامي :

الإسلام عظمته أنه مبني على الوازع الداخلي :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

(سورة الحديد الآية 4)

لا تخفى عليه خافية ، وفي النظام الاقتصادي أيضاً توازن بين المصلحة الفردية والجماعية ، فهناك مذاهب في الأرض اعتقدت أن الفرد هو كل شيء وسحقت المجموع ، وهناك مذاهب أخرى اقتصادية اعتقدت أن المجموع هي كل شيء وسحقت الفرد ، أما هذا الإسلام المتوازن الوسطي انسجمت فيه المصلحة الفردية مع المصلحة الجماعية .

الاقتصاد الإسلامي وازن بين الروح و المادة :

شيء آخر : هذا الاقتصاد وازن بين الروح والمادة ، أنت حينما تقرض قرضاً حسناً ، أنت ابتغيت وجه الله ، هذا عمل من أعمالك الصالحة ، ففي الاقتصاد الإسلامي عمل صالح ، كأن هذا الاقتصاد عدّ المال مال الله والإنسان مستخلف فيه ، والمال ليست سلعة يتاجر بها ، وهذا الاقتصاد مرتبط بمبادئ الدين وقيمه أشد الارتباط، وهذا اقتصاد تعبدي ، حرفتك أحد أنواع عبادتك ، وهذا الاقتصاد رقابته ذاتية ، وأعظم ما فيه أنه يعامل الله عز وجل ، ولا يمنع أن يكون هناك رقابة من الدولة ، وهذا الاقتصاد وازن بين المصلحة الفردية والمصلحة الجماعية، ووازن بين المادة والروح ، وهذا الاقتصاد أخلاقي بمعنى أن التاجر المسلم عنده سماحة ، وعنده رحمة، وعنده لطف ، هذه القيم الأخلاقية هي التي نشرت الإسلام في إندونيسيا ، وهي الآن أكبر دولة إسلامية ، فهذه خصائص الاقتصاد الإسلامي .

الأستاذ جميل :

نعم ، دكتور ، إذاً ما هي القواعد الاقتصادية والضوابط الشرعية التي تحكم الاقتصاد بشكل عام والتجارة بشكل خاص ؟.

القواعد الاقتصادية والضوابط الشرعية التي تحكم الاقتصاد الإسلامي :

1 . النظام الإسلامي يؤمن بالمشاركة في المخاطر والمكاسب :

الدكتور راتب :

الحقيقة هذه القواعد دقيقة جداً ، الآن الحديث عن الاقتصاد الإسلامي حديث العالم كله ، بعد انهيار النظام المالي الغربي ، وجدوا أن النظام الإسلامي منيع عن أن ينهار ، السبب بحثوا في خصائصه وفي قواعده ، القاعدة الأولى هذا النظام يؤمن بالمشاركة في المخاطر والمكاسب ، لا يوجد إنسان يعمل قرضاً ربوياً ، فماله محفوظ مع الفوائد ، والثاني تدمر ، هناك مشاركة ، القرض الرِبوي ممنوع ، لأن أصل هذا النظام مشاركة في المكاسب والمخاطر .

2 . النظام الإسلامي يؤمن بالملكية الخاصة مع احترام الملكية الجماعية :

هناك شيء ثان : يؤمن بالملكية الخاصة هذا النظام ، الملكية الخاصة عنده محترمة ، تقف عندها ، فإذا تحولت هذه الملكية إلى إيذاء للآخرين تتوقف ، أي ملكية خاصة مع الحرية لكن ممنوع أن تحتكر ، ممنوع أن تسلك سلوكاً فيه عدوان على الآخرين ، بأن الغش حرام ، تلقي الركبان حرام .

3 . النظام الإسلامي يقوم على عدم تجمع المال بأيد قليلة :

هذا النظام معه نظام المواريث ، والمواريث توزع الثروة بين أكبر شريحة من الورثة ، فكلما تجمعت الأموال في أيد قليلة وزعت عن طريق المواريث إلى كثرةٍ كثيرة ، وهذا يمنع تجمع المال بأيد قليلة .

4 . النظام الإسلامي مبني على الصدقات والأوقاف :

هذا النظام مبني على الصدقات والأوقاف ، وهذا نوع من التكافل الاجتماعي فالصدقات والأوقاف تحقق التكافل الاجتماعي ، ونظام المواريث يجمع الأموال في أيد كثيرة بعد أن كان في أيد قليلة ، والنظام الاقتصادي دقيق جداً أنه يؤمن في الملكية الخاصة والجماعية ويوازن بينهما ، لكن أهم شيء في هذا الاقتصاد المشاركة في

المكاسب وفي المخاطر ، أما النظام الرِبوي طرف آمن ، وطرف خاسر .

الأستاذ جميل :

دكتور ، ما هي المحرمات و ما هي الممنوعات في الاقتصاد بشكل عام والتعامل مع الناس من أصغر الأسواق إلى أسواق المال و الأعمال ؟.

المحظورات في الاقتصاد الإسلامي :

الدكتور راتب :

الحقيقة هذا النظام الآن موضع دراسة عميقة وجادة من مجلس الشيوخ الفرنسي والفاتيكان ، وهو يرى أنه على الرغم من تحريم الربا كلياً ، وتحريم الاحتكار ، وتحريم الاتجار بالقروض ، أكبر بنك ، عمره مئة و خمسة و خمسون عاماً أفلس على سبعمئة مليار، هذا البنك اختصاصه بالمتاجرة بالقروض ، وعندنا بالإسلام ممنوع أن تتاجر بالقرض ، أي تحريم بيع ما لا يملكه الإنسان .

((لا تَبعْ ما لَيْسَ عندك))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن حكيم بن حزام]

البورصة تتناقض مع هذا .

شيء آخر : تحريم بيع الغرر ، أي إذا كانت البضاعة غير واضحة فممنوع المتاجرة بها .

شيء أخير : تحريم الاتجار بالمحرمات ، كل ما يتعلق بالخمر والزنا ، هناك تحريم قطعي في الاتجار به ، فمن تحريم الربا ، إلى تحريم الاحتكار ، إلى تحريم الاتجار بالقروض ، إلى تحريم بيع ما لا يملكه الفرد ، إلى تحريم بيع الغرر، إلى تحريم الاتجار في المحرمات ، هذه المحظورات في الاقتصاد الإسلامي .

الأستاذ جميل :

دكتور في الفقه الإسلامي باب المعاملات ، هناك أنواع كثيرة في عمليات التبادل، والبيع ، والشراء ، قد تكون عناوينها تراثية قديمة ، ولكنها معاملة ومضمونها يتعامل به التبادلات التجارية ، ما هي الأدوات الاستثمارية ؟.

أهم وسائل الاستثمار في النظام الإسلامي المضاربة والمرابحة والمشاركة والإجارة :

الدكتور راتب :

أنا لا أصدق أن حاجة ملحة يحتاجها الإنسان يغفلها الشرع ، فهناك حاجة أساسية جداً من الاستثمار ، أي رجل متقاعد معه مبلغ من المال ، إنسان لا يحسن التجارة ، طفل ورث عن أبيه مالاً ، فهناك حاجة أساسية في العالم كله إلى الاستثمار ، لأن الإسلام حرم الربا ، حرم الاستثمار عن طريق الفائدة الثابتة ، ما البديل ؟ المضاربة ، النبي الكريم تاجر بمال السيدة خديجة ، هو مضارب وهي ممولة ، فالمضاربة من أحل طرق الاستثمار ، أي العبء مشترك ، والأرباح مشتركة ، فالذي قدم المال له نصف الأرباح تقريباً ، والذي قدم الجهد له نصف الأرباح ، فهناك مشاركة بالأعباء ، وبالمكاسب ، والمضاربة هي الطريق الرائع لاستثمار المال ، لكن بعض المسلمين حينما أساؤوا ، حينما جمعوا الأموال ، ولم يؤدوها إلى أصحابها ، هم ارتكبوا جريمة بحق هذا الدين العظيم ، لأنهم عطلوا القناة النظيفة الرائعة للاستثمار ، وجاء البديل هو الاستثمار الربوي .

فالمضاربة أحد أهم وسائل الاستثمار في النظام الإسلامي ، والمرابحة أيضاً والآن تعتمدها البنوك الإسلامية ، والمشاركة ، الشركات ، ثم الإجارة ، ثم بيع السهم ، فهذه كلها وسائل الاستثمار ، وأنا أقول دائماً : لا يعقل أن يكون منهج الله إلا ويلبي حاجات كل البشر إلى نهاية الحياة ، أما الوهم الفاضح أن الإسلام ليس فيه نظام اقتصادي ، بالعكس ، هو قدم دقائق في نظام الاقتصاد مذهلة ، والآن هو صامد أمام كل الأزمات المالية ، لأنه من عند خالق الكون ، من عند الخبير ، من عند العليم .

فنحن إلى الآن هذه الأزمة الطاحنة تأثر بها المسلمون تأثراً طفيفاً ، بسبب علاقتهم بالمصارف الأجنبية ، فهذا كله من فضائل هذا الدين العظيم ، وهذا المنهج الإسلامي منهج كامل ، الإسلام قدم تصوراً صحيحاً للكون والحياة والإنسان، قدم لك منهجاً تفصيلياً لكل شؤون حياتك .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

شكراً لكم فضيلة الدكتور وجزاكم الله خيراً ، شكراً لكن أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمن الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (24-30) : علاقة الإنسان بعمله 2 ، لماذا صنف الفقهاء بحث الزكاة وعدوه في العبادات وليس المعاملات ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة ".

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور كان للزكاة الدور الأكبر في النظام المالي الإسلامي ولا يزال ، والزكاة هي قدر من المال يخرجه الغني من مصارفه ، سؤالي : لماذا صنف الفقهاء بحث الزكاة وعدوه في العبادات وليس في المعاملات ؟.

الزكاة أحد أكبر أسس النظام المالي الإسلامي :

الدكتور راتب :

الزكاة عبادة مالية ، لأن الله عز وجل جعل الزكاة أحد أكبر أسس النظام المالي الإسلامي ، والزكاة تنطلق من الضمان الاجتماعي ، لأنه حينما توزع الأموال بأيدٍ قليلة وتحرم منها الكثرة الكثيرة ، تنشأ مشكلات لا تنتهي في المجتمع ، فمن أجل ضمانة سلامة كل شرائح المجتمع فرض الله في الأغنياء ما يسع الفقراء ، فلذلك هي عبادة كالصلاة ، والصيام ، والحج ، لكن الصلاة عبادة بدنية ، والحج عبادة بدنية مالية ، والزكاة عبادة مالية ، فالزكاة

عبادة مالية وهي أصل للاقتصاد الإسلامي .

لذلك نحن في المحطة السادسة ، محطة العمل الذي نرتزق منه ، والزكاة جزء أساسي من نظام الإسلام في العمل .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هل هناك آية في كتاب الله عز وجل تعد أصلاً في الزكاة ؟.

الآية التالية تعد أصلاً في الزكاة :

الدكتور راتب :

الآيات كثيرة جداً ، إلا أن هناك آية تعد كما تفضلت أصلاً في هذا الموضوع ، والآية هي قوله تعالى :

﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ** ﴾

(سورة التوبة الآية : 103)

الحقيقة وقف العلماء عند هذه الآية تفصيلاً عند كلماتها كلمةً كلمة ، فكلمة

﴿ **خُذْ** ﴾

هذا أمر موجه إلى رسول الله ، إلا أن الملمح الدقيق أن هذا الأمر وجه إلى النبي الكريم لا على أنه نبي الأمة ولكن على أنه ولي الأمر ، فهذه الزكاة يجب أن تؤخذ لا أن تؤدى طواعية ، تؤخذ من كل مؤمن على أنها فريضة واجبة من أجل أن نقدم للفقراء ما يحتاجونه ، إذاً هي فريضة على الإنسان أن يدفعها شاء أم أبى ، أحب أم كره ، ليست عملاً تطوعياً اختيارياً ، كلمة فريضة فيها إلزام .

الله عز وجل جعل الزكاة فرضاً عينياً على كل إنسان مسلم ملك النصاب :

بالمناسبة : نحن عندنا في الإسلام فرائض ، وعندنا محرمات ، وعندنا سنن ، و عندنا مستحبات ، وعندنا مباحات ، وعندنا مكروهات كراهة تنزيهية ، وعندنا مكروهات كراهة تحريمية ، فما من حركة ولا سكنة في حياتنا إلا وهناك حكم شرعي يغطيها ، فكلمة فرض أصل في سعادتنا ، أنت حينما تنفق من مالك الحلال الذي كسبته بجهدك وبعرق جبينك، وحينما ترى أن هذا المال حلّ مشكلات من حولك ، تسعد بهذا العمل .

فجزء من طاعتك لله ، وجزء من أسباب إقبالك عليه ، أن تنفق من مالك ، لكن الله عز وجل لئلا يكون الفقراء تحت رحمة الأغنياء ، يعطون أو لا يعطون ، فجعل الزكاة فرضاً عينياً على كل إنسان مسلم ملك النصاب .

الزكاة تجب في كل الأموال من دون استثناء :

كلمة

﴿ خُذْ ﴾

لا بد من أن تؤخذ الزكاة من المؤمنين بحسب أنصبة أموالهم ، لكن الله عز وجل حينما قال :

﴿ خُذْ مِنْ ﴾

ماذا تعني كلمة

﴿ مِنْ ﴾

تعني كلمة من أنها للتبعيض ، أي خذ بعض أموالهم ، الشرع الحنيف حكيم ورحيم ، لم يصادر المال كله ، لم يأخذ المال كله ، لم يأخذ نصف المال ، لم يأخذ ربع المال ، أخذ نسبة ضئيلة جداً من المال ، فهذا ما تعنيه كلمة

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

أما كلمة أموال جاءت جمعاً ، لأن الزكاة تجب في كل الأموال من دون استثناء ، أي هناك زكاة للإنتاج الزراعي، وهناك زكاة للبضاعة والتجارة ، وهناك زكاة للصناعة ، وهناك زكاة للركاز ، بحوث الفقه ممتلئة بتفاصيل أنواع الأموال التي تجب بها الزكاة ، لكن الآية الكريمة لخصتها بصيغة الجمع ،

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

فأي مال لا بد من أن تكون فيه أي زكاة .

مرة سألني إنسان : هل على العسل زكاة ؟ قلت : نعم ، قال لي : وماذا نفعل إن لم ندفع ؟ ما الذي يحصل ؟ القضية سهلة جداً ، عندنا حشرة اسمها قراض النحل ، تسلط على هذه الخلايا فتتلفها ، فإما أن تدفع ، وإما قراض النحل جاهز .

الله عز وجل أرادنا أن نكون كرماء ، وأسخياء ، إلا أن الزكاة فرض ، لا يوجد خيار ، لابدّ من أن تدفع زكاة مالك .

المحروم صاحب الكرامة والعزة يسكت ولا يسأل فيحرم فالبطولة أن تبحث أنت عنه :

لذلك قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾

(سورة المعارج)

لابدّ من جرد البضاعة ، لابدّ من حساب ثمن هذه البضاعة ، لابدّ من دفع الزكاة بحساب دقيق .

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾

(سورة الذاريات)

من هو السائل ؟ الذي يلح ، والمحروم صاحب الكرامة والعزة يسكت ولا يسأل فيحرم .

لذلك أستاذ جميل ، لي رأي دقيق جداً ، حينما أخبرنا الله عز وجل أن الذي يستحق الزكاة هو الذي لا يسأل ، نشأ من هذا التوضيح واجب على كل مؤمن ، أن يبحث عن المستحق حقيقة ، يوجد بحث ، فالذي يسألك يكون كاذباً ، الذي يسألك قد يكون ملحاً ، أما الذي يستحق الزكاة حقيقة لا يسألك ، وقد يبدو كريماً ، يبدو أنيقاً ، قد يكون محتاجاً إلى المال فالبطولة أن تبحث أنت عنه .

الزكاة تؤكد صدق إيمانك بالله عز وجل وصدق طاعتك له و صدق محبتك له :

لذلك

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

الآن هم ، هذا ضمير الجمع ، أي لا يعفى أحد من الزكاة ، لا يعفى مال من أداء الزكاة ، لا يعفى أحد من دفع الزكاة ، أحياناً بالأنظمة الراهنة تطوى الضريبة عن زيد ، تطوى عن عبيد ، نحن بالإسلام الناس جميع سواسية كأسنان المشط ، لا تطوى الزكاة عن إنسان ، والدليل :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

جمع المال كي تغطي كل الأموال ، زراعة ، صناعة ، تجارة ، ركاز ، ثروات ، أما هم تشمل كل الناس من دون استثناء ،

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

لكن

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾

كأن الآية عن الزكاة ، فلماذا وصفت هنا بالصدقة ؟ قال : الصدقة برهان ، هناك عبادات لا تكلفنا شيئاً ، تتوضأ وتصلي ، أما هناك عبادة مالية تكلفك مالاً جنيته بتعبك وعرقك ، وها أنت تنفقه في سبيل الله، فهذه العبادة تؤكد صدق إيمانك بالله عز وجل ، تؤكد صدق طاعتك لله ، تؤكد صدق محبتك لله ، فالصدقة برهان ،

فجاءت هنا كلمة الصدقة مكان الزكاة كي تبين أن الذي يدفع زكاة ماله يحب الله ، ويحب طاعته ، ويتمنى رضاه .

لذلك النبي الكريم أعطانا مقاييس ، قال :

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله))

[أخرجه الطبراني عن جابر بن عبد الله]

ممنوع أن تصف إنساناً أنه شحيح وقد أدى زكاة ماله .

((برئ من الشح من أدى زكاة ماله))

وبرئ من الكبر من حمل حاجته بيده ، وصاحب الحاجة أولى بحملها ، وبرئ من النفاق من أكثر من ذكر الله .

الزكاة تطهر الغني من الشح والفقير من الحقد :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾

خذ لها معنى ، من لها معنى ، جمع مال لها معنى ، صدقة لها معنى ،

﴿ تُطَهِّرُهُمْ ﴾

هذا المال الذي ينفقه الإنسان يطهر نفسه من الشح ، الشح مرض خطير ، نحن كيف نقول الورم الخبيث مميت؟ والله لا أبالغ إذا كان هناك مرض خبيث يصيب النفس فهو الشح ، فالذي دفع زكاة ماله طهر نفسه من مرض الشح

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾

أي تطهر نفوسهم من مرض الشح .

الآن تطهر الغني من الشح ، تطهر الفقير من الحقد ، الفقير المحروم يرى الأغنياء يركبون مركبات فارهة ، يلبسون ثياباً فاخرة جداً ، بيوتهم عامرة ، يدعون إلى ولائم غالية جداً ، فيحقد ، أما حينما تأتيه الزكاة يرى نفسه مهماً في المجتمع ، أن نظام المجتمع يرعى مصالحه ، ويوفر له حاجاته الأساسية ، فهذا الفقير بدل أن يحقد يحب الغني ، بل لن يحدث نفسه بأخذ بعض الأموال ، بل يكون حارساً لها ،

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾

تطهر نفس الغني من الشح ، ونفس الفقير من الحقد ، وتطهر المال من حق تعلق الغير به ، الحجر المغصوب في بناء رهن في خرابه ، فإذا كان هذا المال فيه مال حرام ، أي هناك مال لم تؤدَ زكاته قد يتلف المال كله ، إذاً تطهرهم من الشح للأغنياء والحقد للفقراء ، وتعلق حق الغير به .

الزكاة تزكي نفس الغني و الفقير :

الآن :

﴿ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾

تزكي نفس الغني ، يرى ماله أصبح ابتسامة على وجوه الصغار ، يرى ماله جعل من هؤلاء الفقراء حراساً له ، يرى أن هؤلاء الفقراء دانوا له بالولاء ، فزكت نفس الغني ، وزكت نفس الفقير ، شعر بقيمته في المجتمع ، والمال يزداد ، يزداد بطرائق عديدة ، يزداد بنظام الزكاة نفسه ، أنت حينما تقدم هذا المال للفقراء جعلته قوة شرائية ، اشتروا منك فازدادت أرباحك ، ومبيعاتك ، فهذا المال ينمو بآلية محضة ، وينمو بعناية الله ، ينمو بإحدى طريقتين ؛ بآلية مالية محضة، وينمو بعناية الله :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

الأستاذ جميل :

دكتور ، في عجالة ما هي الثمار التي يجنيها دافع الزكاة ؟ بمعنى هو يدفع والمال ينقص بنظرة الحرص ماذا يستفيد من ذلك ؟ .

الثمار التي يجنيها دافع الزكاة :

الدكتور راتب :

هناك بعض الأحاديث :

((ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة]

وفي حديث آخر :

((حصنوا أموالكم بالزكاة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن مسعود]

فالثمرة دنيوية ، وأن المال محصن ، ولا يتلف .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (25-30) : علاقة الإنسان بعمله 3: لماذا الوقت هو أهم عامل من عوامل إثراء الاقتصاد ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة ".

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور ، الوقت هو وعاء العمل ، ومحطتنا التي نتحدث فيها هي الاقتصاد ، العمل ، الزكاة ، والوقت هو أهم عامل من عوامل الاقتصاد ، لماذا ؟.

الوقت أثمن شيء يملكه الإنسان :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أستاذ جميل ، هل تصدق أن خالق السماوات والأرض أقسم بعمر النبي ؟ والعمر زمن ، هذا الإنسان الذي استفاد من حياته دقيقةً دقيقة ، وجعلها في خدمة الخلق ، وفي إسعادهم ، وفي حثهم على طرق سلامتهم ، فلذلك

قال تعالى :

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(سورة الحجر)

أقسم الله بعمر هذا الإنسان ، فالعمر له خطورة كبيرة في حياة الإنسان ، فالإنسان وقت .

ما من تعريف جامع مانع للإنسان كتعريف الإمام الجليل الحسن البصري قال : " الإنسان بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا بن آدم أنا يوم جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة ".

فالوقت أثمن ما يملكه الإنسان ، أو رأسمال الإنسان ، أو هو الإنسان ، فلذلك الوقت وإدارته في الحقيقة إدارة للإنسان ، إدارة لذاته ، إدارة لدينه ، إدارة لعلمه ، من هنا تأتي خطورة الوقت في حياة الإنسان .

لكن سيدنا علي رضي الله عنه يقول : " الله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً " ، أنا يقيني قبل كشف الغطاء كيقيني بعد كشف الغطاء .

وله قول آخر : " والله لو علمت أن غداً أجلي ما قدرت أن أزيد في عملي "، فالوقت هو الإنسان أو هو رأسماله، أو هو أثمن شيء يملكه .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هل هناك نص قرآني صريح لحديثنا عن الوقت ؟.

سورة العصر نص قرآني صريح عن الوقت وأهميته :

الدكتور راتب :

والله سورة العصر هي النص الأول في القرآن الكريم ، فالله جلّ جلاله يقسم بمطلق الزمن ، بالعصر فيقول :

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾

جواب القسم :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

(سورة العصر)

الإنسان بجواب القسم خاسر لا محال ، لماذا يا رب ؟ قال : لأن مضي الزمن يستهلكه ، مضي الزمن وحده يستهلكنا .

ما لم يصبر الإنسان في البحث عن الحقيقة والعمل وفقها والدعوة إليها فهو خاسر لا محالة :

لذلك الإنسان خاسر لأنه بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، ولكن الله جلّ جلاله كانت رحمته في كلمة إلا ، هناك استثناء :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا ﴾

ما بعد إلا أركان النجاة من الخسارة .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(سورة العصر)

هؤلاء أنفقوا وقتهم إنفاقاً استثمارياً ، ولم ينفقوا وقتهم إنفاقاً استهلاكياً ، معظم الناس اليوم ينفقون أوقاتهم إنفاقاً استهلاكياً ، يأكلون ، ويشربون ، ويتمتعون ، ثم يفاجؤون بالموت وزادهم في الآخرة قليل ، أما المؤمن عمل في الوقت الذي سينقضي عملاً ينفعه بعد انقضاء الوقت ، هذه نقطة دقيقة :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

أي الذين يبحثون عن الحقيقة ، وعملوا وفقها ، وعملوا الصالحات ، ودعوا إليها، وهذا فرض عين على كل مسلم في الدعوة إلى الله ، في حدود ما يعلم ومع من يعرف

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

صبروا على البحث عنها ، والعمل وفقها ، والدعوة إليها .

هذه السورة ، كان الصحابة الكرام لا يتفرقون إلا على هذه السورة ، وقال عنها الإمام الشافعي : "لو أن الناس استوعبوا هذه السورة لكفتهم "، فلذلك تعد أصلاً من أصول إدارة الوقت .

الأستاذ جميل :

دكتور ذكرتم الإدارة ، ماذا نعني بإدارة الوقت ؟ وكيف الإفادة منها ؟.

إدارة الوقت :

الدكتور راتب :

والله إدارة الوقت تعني فعل الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي ، مرة التقيت مع أحد الأخوة الكرام يحمل دكتوراه في إدارة الأعمال في أمريكا ، حدثته عن هذه الآية :

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة الملك)

أقسم لي بالله أن هذه الآية جمعت كل اختصاصه ، المؤمن له هدف واضح يسعى نحوه ، أما غير المؤمن

﴿ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ ﴾

نسي الآخرة ، نسي ما بعد الموت ، نسي الحساب ، نسي العذاب ، نسي الجنة ، نسي النار ،

﴿ يَمْشِي مُكِبّاً ﴾

فلذلك إدارة الوقت بتعريف آخر تعني : تحديد هدف ، ثم تحقيقه ، أنت تدير وقتك أي عندك أهداف واضحة ، ولها وسائل واضحة ، فتتحرك نحو هذه الأهداف .

لذلك الإنسان حينما يدير وقته بشكل فعال هو في الحقيقة يدير نفسه ، وعبادته ، وعمله ، ودنياه ، إدارة فعالة .

الوقت من أكثر الأشياء هدراً في حياة الدول النامية :

شيء آخر : مع الأسف الشديد الشديد أكثر الأشياء هدراً في حياة الدول النامية الوقت ، الوقت قيمة كبيرة جداً ، لكن هذه القيمة أقل القيم استثماراً ، وأكثرها هدراً ، الحقيقة أن علماء الاقتصاد جمعوا الموارد الاقتصادية فكانت من هذه الموارد المواد الأولية ، والمعلومات ، والأفراد ، والوقت ، عندنا إنسان ، و عندنا وقت ، وعندنا موارد ، وعندنا أعمال ، هذه أربعة موارد للاقتصاد ، الوقت أهمها ، والإنسان ثاني أكبر مورد اقتصادي ، الإنسان نفسه .

فلذلك الوقت مورد نادر لا يمكن استرجاعه ، فما مضى فات ، والمؤمل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هل هذه المعاني عالجتها نصوص السنة النبوية أم أنها مصطلحات ومعان محدثة ليس لها تأصيل شرعي ؟.

أحاديث النبي ﷺ عن الوقت و أهميته :

الدكتور راتب :

والله هناك أحاديث كثيرة للنبي عليه الصلاة والسلام ، إدارة الوقت تشغل حيزاً كبيراً في ديننا ، مثلاً يقول عليه الصلاة والسلام :

((نعمتان مَغْبُون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عباس]

الذي عنده وقت فراغ ، عنده مشاريع كبيرة جداً ، ويرقى بهذه المشاريع ، بل هناك مقولة معاكسة : الذي ليس عنده وقت فراغ لا يعيش إنسانيته ، فلابدّ من وقت فراغ تمارس به هواياتك .

شيء آخر ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((لا تزولُ قدَمَا عبد يومَ القيامة ، حتى يُسألَ عن أربع : عن عُمُره فيما أفناه ؟ وعن عِلْمِهِ ما عمِل به))

[أخرجه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي]

لم فعلت كذا ؟ لِمَ طلقت امرأتك طلاقاً تعسفياً ؟ لَمَ أكلت هذا المال ؟ لِمَ أغفلت الحسابات عن شريكك ؟ سوف يحاسب الإنسان حساباً دقيقاً عن المال ، وعن الوقت .

((وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيمَ أبلاه ؟))

[أخرجه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي]

السبعون عاماً كيف أمضيتها ؟ في طاعة أم في معصية ؟ هذا حديث أصل في موضوع الوقت ، لكن الحديث الرائع الذي ينبغي أن يكون واضحاً يقول عليه الصلاة والسلام :

((اغتنم خمساً قبل خمس ؛ شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك))

[أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عباس]

نحن في إدارة الوقت هذا موضوع يعني كل مسلم ، يعني كل مؤمن ، لأن الوقت هو الإنسان ، هو رأسمال الإنسان ، هو أثمن شيء يملكه الإنسان ، الوقت غلاف العمل ، وهناك أناس كثيرون يمضون أوقاتهم بلا جدوى، وبلا عمل ناجح ، في كلام فارغ ، في غيبة ، في نميمة ، في لعب نرد .

مرّ أحد العلماء على مقهى رأى من في المقهى يلعبون النرد ، فقال : يا سبحان الله ! لو أن الوقت يُشترى من هؤلاء لاشتريناه منهم .

الحرص على الوقت شيء مهم جداً :

النقطة الدقيقة أن الإنسان خُلق لهدف كبير ، فإذا اختار هدفاً محدوداً وحققه شعر بفراغ ، وشعر بالسأم ، والضجر ، فأنت مخلوق لمعرفة الله ، فلابدّ من أن تستفيد من وقتك دقيقةً دقيقة ، وبطولة المؤمن أن إدارة الوقت عنده دقيقة ، وأحاديث كثيرة تتحدث عن قيمة الوقت ، وعن قيمة هذا المورد الاقتصادي الكبير ، العالم الغربي قال : الوقت مال .

وقال بعض علماء المسلمين : الناس حريصون على أوقاتهم كحرصهم على حياتهم ، فالحرص على الوقت شيء مهم جداً .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، كنا معكم أيها الأخوة في إدارة الوقت ، وكيفيته ، نشكر لكم حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (26-30) : علاقة الإنسان بعمله4 : ما هو دور التعاون في حياة المسلم وما هي النصوص الداعمة لذلك ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات ، أهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج : "الإسلام منهج حياة ".

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

لا شك أن التعاون ، والتكاتف ، والتعاضد ، كلها ألفاظ تنبئ عن النجاح ، وسعة الأفق ، ما هو دور التعاون في حياة المسلم ؟ وما هي النصوص الداعمة لذلك ؟

دور التعاون في حياة المسلم :

الدكتور راتب :

نحن في المحطة السادسة محطة العمل التي بدأناها بالاقتصاد الإسلامي وخصائصه ، ثم ثنينا بالزكاة ، ثم ثلثنا إن صحّ العبير بإدارة الوقت ، وها نحن ننهي هذه المحطة بالتعاون ، فنحن عندنا قاعدة أصولية أن : كل أمر في القرآن الكريم وفي السنة الصحيحة يقتضي الوجوب ، وعلة أي أمر أنه أمر ، فإذا قال الله عز وجل في قرآنه الكريم :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

(سورة المائدة الآية : 2)

هذا أمر يقتضي الوجوب ، ومعه نهي آخر ، قال علماء التفسير : التعاون على البر ، أي التعاون على صلاح الدنيا ، وتأمين حاجات الناس ، وتأمين سكن للشباب ، وتزويج الشباب ، واستخراج الثروات ، وتطوير الصناعة، وإصلاح الأراضي ، وإنشاء السدود ،

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ ﴾

على صلاح الدنيا

﴿ وَالتَّقْوَى ﴾

صلاح الآخرة ، ترسيخ معالم الحق، ردّ الشبهات ، تدعيم الحق ، مناهضة خصومه ،

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

فالتعاون أمر إلهي يقضي الوجوب ، ولأن التعاون حيادي يمكن أن يكون في الخير كما يمكن أن يكون في الشر، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ ﴾

لا أن تغري الناس بمعصية ، لا أن تحدث في الدين شيئاً يبعدهم عن ربهم ،

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

أن تعتدي على أموال الناس أو أعراضهم ، وأن تأخذ ما ليس لك ، أو أن تبتزهم ، أو أن توقع بينهم العداوة والبغضاء ،

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

التعاون حيادي يمكن أن يكون في الخير كما يمكن أن يكون في الشر ، فالبطولة أن تتعاون التعاون الإيجابي وأن نبتعد عن أي تعاون يؤدي إلى شقاء الإنسان .

الأستاذ جميل :

هل عمل الشرع على روادع تصد الناس عن هذه الأناة ، عن هذه الأثرة ؟.

وقوف الإسلام موقفاً شديداً تجاه كل نزعة تناقض التعاون والمساواة بين البشر :

الدكتور راتب :

الحقيقة هناك نهي شديد عن استغلال الناس ، عن ابتزاز أموالهم ، عن أن يبني الإنسان مجده على أنقاض الآخرين ، أن يبني حياته على موتهم ، أن يبني عزه على ذلهم ، أن ينبني غناه على فقرهم ، هناك نهي شديد عن استغلالهم ، عن إلقاء الرعب في قلوبهم ، عن أخذ ما ليس لهم ، هناك نزعة فردية أنانية ، هناك نزعة تريد أن تسلب جهد الآخرين ، أن تبتز أموالهم ، هذه أشياء تتناقض مع التعاون ، بل تتناقض مع المساواة بين البشر، كل إنسان له حق الحياة، وحق العمل ، وحق الكرامة ، وحق العزة ، هذه حقوق شرعها الله للمسلمين ، ولكل الناس قاطبة .

فالإسلام وقف موقفاً شديداً تجاه كل نزعة تناقض التعاون ، والتي تناقض التعاون تناقض المساواة بين البشر ، لكن الذي أتمناه أن واضحاً أن الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 63)

فكأن هذا الحب الناتج عن التعاون ثمرة من ثمار الإيمان ، هو من خلق الله عز وجل

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾

فمع التعاون هناك الحب .

((وَجَبَتْ محبَّتي للمُتَحَابِّينَ فيَّ ، والمُتجالِسينَ فيَّ ، والمُتزاورينَ فيَّ ، والمتباذلينَ فيَّ على منابر من نور يغبطهم عليها النبييون يوم القيامة))

[أخرجه مالك عن معاذ بن جبل]

الحب الناتج عن التعاون ثمرة من ثمار الإيمان :

إذاً التعاون له ثمار يانعة جداً ، و من ثماره المحبة ، والله عز وجل وصف مجتمع المؤمنين فقال :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة التوبة)

وصف مجتمع المؤمنين أن بعضهم أولياء بعض ، يتعاونون ، يتناصحون ، يتبادلون ، يتزاورون ، يدعو بعضهم بعضاً ، كلهم كلٌ واحد ، كلهم ينتمي إلى المجموع ، فلذلك التعاون فريضة ، وتكاد أن تكون الفريضة السادسة .

الأستاذ جميل :

ما هي العواقب والنتائج السلبية التي قد يحصدها المسلم من مجتمع لا يتخذ من التعاون سبيلاً ؟.

المؤمنون بعضهم أولياء بعض :

الدكتور راتب :

أستاذ جميل ، آية في الأنفال تلفت النظر ، هذه الآية تقول :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ﴾

(سورة الأنفال الآية : 72)

المحصلة :

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 72)

المؤمن يؤمن الإيمان الذي أراده الله ، الإيمان الذي يحمل على طاعة الله ، ويهاجر في سبيل الله ، لأنه جاء إلى الدنيا ليعبد الله ، فالمكان الذي كان يحول بينه وبين عبادة الله يهجره إلى بلد آخر يعبد الله فيه ،

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

أي بذل أقصى جهده من أجل دعم الحق ، أنا أقول دائماً : لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله ، ولكن اقلق ما إذا سمح الله لك أو لم يسمح أن تكون جندياً له ،

﴿ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا ﴾

آوى بعضهم بعضاً ، نصر بعضهم بعضاً ، الآن التاج لهذه النشاطات ، وهذه الجهود :

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

العواقب والنتائج السلبية التي يحصدها المسلم من مجتمع لا يتخذ من التعاون سبيلاً :

قد يتوهم المتوهم أن المؤمنين وحدهم أولياء بعضهم بعضاً ؟ لا ، ثم يقول الله عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

(سورة الأنفال الآية : 73)

يتعاونون على إطفاء نور الله ، يتعاونون على دحض الحق ، يتعاونون على تعرية الطرف الآخر ،

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

أما الملمح الدقيق الخطير :

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾

(سورة الأنفال الآية : 73)

الهاء على من تعود ؟ قال علماء التفسير : تعود على الآية السابقة ،

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾

إن لم تؤمنوا الإيمان الصحيح ، إن لم تهاجروا ، إن لم تجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، إن لم تؤووا ، إن لم تنصروا :

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

(سورة الأنفال)

وهذا واقع العالم اليوم ، حينما ضعف المسلمون ، حينما كان بأس المسلمين بينهم، حينما ابتعدوا عن التعاون ، حينما لم يجاهدوا الجهاد الذي أرداه الله عز وجل ، حينما هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ،

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

لأن الطرف الآخر يسعى جاهداً لإطفاء نور الله ، وتقويض دعائم الدين ، فهذه الآية من أخطر الآيات في القرآن الكريم ،

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

انتبهوا هم يسهرون ، ويخططون ، ويسعون جاهدين لإطفاء نور الله ،

﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾

إن لم تؤمنوا ، وتجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ، وتهاجروا ، وتؤووا ، وتنصروا

﴿ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

الأستاذ جميل :

إذاً دكتور ما هي الثمار التي نسعى لتحصيلها من خلال هذا التعاون ؟.

ثمار التعاون :

الدكتور راتب :

هناك ثمار يانعة جداً ، أنا أستخدم المصطلحات الحديثة ، من ثمار التعاون نظام فريق العمل ، فريق العمل أحد أسباب قوة الآخرين ، فريق العمل تعاون ، فريق العمل تناصح ، فريق العمل تنازل ، أنا أتنازل لأخي للمصلحة العامة ، نظام فريق العمل أحد ثمار التعاون ، العمل المؤسساتي المبني على نظام دقيق جداً لا يتأثر كثيراً بالأشخاص أحد ثمار التعاون ، الانتماء للمجموع أحد ثمار التعاون ، ترشيد الاستهلاك أحد ثمار التعاون .

أنا أضرب مثالاً بسيطاً ، إنسان مضطجع تحت شجرة تفاح قد قطفت ، وبقيت تفاحة كبيرةٌ صفراء ولها خد أحمر، فاشتهاها ، ومعه منشار شجرة ، فقطع الشجرة ، وقعت الشجرة فأكل التفاحة ، هذا مثل صارخ للانتماء الفردي ، والدول النامية انتماءاتها فردية ، والدول القوية انتماءاتها جماعية ، فالانتماء إلى المجموع من ثمار التعاون ، فضيلة التنازل ، إذا عزّ أخوك فهن أنت ، أنا أتنازل لأخي من أجل المصلحة العامة ، الآن الغرب قوته في نظام فريق العمل ، قوته في التعاون ، قوته في العمل المؤسساتي ، قوته في الانتماء للمجموع، قوته في ترشيد الاستهلاك ، ونحن ضعفنا في الانتماء الفردي ، في العمل الشخصي لا المؤسساتي ، في التنافس لا في التعاون .

فلذلك نحن بالإمكان أن ننهض من كبوتنا لو عدنا إلى ديننا ، كل هذه المصطلحات الحديثة أنا آثرت أن آتي بها لأؤكد أنها أصل في ديننا ، بل إنها ثمرة يانعة من ثمار التعاون .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، كنا معكم أيها الأخوة في موضوع التعاون ، نشكر لكم حسن المتابعة ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (27-30) : علاقة الإنسان بصحته 1 : كيف عني الإسلام بالحياة من جانب الصحة ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج:"الإسلام منهج حياة" .

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل .

الأستاذ جميل :

في معرض الحديث عن الحياة لا بدّ أن يتمتع الإنسان بقدرة على معالجة شؤونه ، وتمام الصحة ، وموفور العافية ، له هو الدور الأكبر للحياة الغير منقوصة ، كيف عُني الإسلام بالحياة من جانب الصحة ؟

القوة تعطي المؤمن خيارات لا تنتهي في العمل الصالح :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أستاذ جميل أنت بهذا السؤال أدخلتنا في المحطة الأخيرة ، المحطة السابعة ، محطة الصحة ، فالله عز وجل حينما حدثنا عن طالوت قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾

(سورة البقرة الآية : 247)

هذه إشارة قرآنية إلى الصحة .

شيء آخر :

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾

(سورة القصص)

بل إن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

والقوة على إطلاقها تعني قوة الجسم ، النقطة الدقيقة في الموضوع : أن الدنيا من أجل العمل الصالح ، والقوة تعطي المؤمن خيارات لا تنتهي في العمل الصالح ، فإذا كان طريق القوة سالكاً بكل أنواعها وفق منهج الله ينبغي أن تكون قوياً ، أما إذا كان طريق القوة على حساب مبادئك ، وقيمك ، فالضعف وسام شرف للإنسان ، هذا في المعنى العام للقوة ، لكن أحد أنواع القوة قوة الجسد ، فلما أمر النبي في بعض المعارك أن يكون كل ثلاثة على راحلة ، قال : وأنا وعلي وأبو لبابة ، نبي الأمة ، رسول الله ، قائد الجيش ، زعيم الأمة ، يقول : وأنا وعلي وأبو لبابة على راحلة ، فلما جاءت نوبته في المشي توسل صاحباه أن يبقى راكباً ، فقال : ما أنتما بأقوى مني على السير .كان قوي البنية .ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر .

الصحة أحد أركان الأمن و قوة الجسد مرتكز لقوة النفس :

إذاً قوة الجسد مرتكز لقوة النفس ، ولا أتصور عقلاً سليماً في جسم عليل ، فالعقل السليم في الجسم السليم ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ أصبَحَ منكم آمِنا في سِرْبه . في بيته . مُعافى في جَسَدِهِ ، عندهُ قوتُ يومِه ، فكأنَّما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها))

[أخرجه الترمذي عن عبيد الله بن محصن]

فكأن الذي كان يعنيه عليه الصلاة والسلام جعل الصحة أحد أركان الأمن .

لذلك الإنسان حينما يقرأ أدعية النبي العدنان يفاجأ أن من أكثر الأدعية التي كان يدعو بها :

((اللهم ارزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة))

نحن دخلنا في المحطة السابعة محطة الصحة ، ويمكن أن توزع هذه المحطة على حلقات أربع ، الطب الطبيعي، والطب النفسي ، والطب الوقائي ، والطب العلاجي .

الأستاذ جميل :

دكتور ، إن كان حديثنا عن الصحة بداية ما المقصود من الطب الطبيعي ؟.

الطب الطبيعي :

الدكتور راتب :

الطب الطبيعي أساسه بذل الجهد ، والإنسان أحياناً يتوهم أن مكانته في استهلاك جهد الآخرين ، من بعض توجيهات النبي :

((لا تسألوا الناس شيئاً))

[مُسْلِمٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ]

ما دمت قادراً على أن أخدم نفسي ينبغي أن أخدم نفسي ، لذلك برئ من الكبر من حمل حاجته بيده ، وبرئ من الشح من أدى زكاة ماله ، وبرئ من النفاق من أكثر من ذكر الله .

حتى إن بعض الأطباء قال : الحد الأدنى الأدنىَ الأدنى للرياضة أن تخدم نفسك في البيت ، فأساس الصحة بذل الجهد ، لا أن تستهلك جهد الآخرين .

هناك بناء من عشرة طوابق ، فيه موظف ، أنا أظن أنه لو فُحص أبناء هذا البناء بأكملهم لكان هذا الموظف أكثرهم صحة ، من كثرة الجهد الذي يبذله .

فالإنسان صمم ليبذل الجهد ، فإذا أخذ جهد الآخرين ، وخلد إلى الراحة ، تأتي الأمراض والمتاعب ، فأنا أقول : إن صحّ أن هناك طباً طبيعياً هو أن تبذل جهداً ، لا أن تستهلك جهد الآخرين ، ولعل في هذا التوجه معنى اجتماعي ، يصبح الإنسان متواضعاً ، و هناك معنى صحي ، فالإنسان حينما يكون ذكياً يقول بالتعبير الدارج : ضربت عصفورين بحجر ، أما الأمر الإلهي يحقق آلاف الأهداف معاً ، فأنت حينما تكون متواضعاً تبذل جهداً، هذا البذل هو صحة و تواضع و تعاون ومحبة ، فإذا أمكن أن نلخص الطب الطبيعي بكلام بسيط أن تبذل جهداً، أن تخدم نفسك ، كان الصحابي ينزل من على ناقته ليلتقط زمام الناقة ، ولا يسأل أحداً أن يناوله إياها ، لا يسأل الناس شيئاً ، فهذا البذل للجهد هو الطب الطبيعي .

الأستاذ جميل :

دكتور ، ما هي الأسباب البعيدة للمرض وما هي الأسباب البعيدة للصحة ؟

الأسباب البعيدة للمرض :

الدكتور راتب :

والله ، عقد مؤتمر أعتقد في لندن قبل سنوات عديدة ، ملخص هذا المؤتمر أو توصيات هذا المؤتمر أن : طبيعة العصر الحديث كسل عضلي ، كل شيء من الأدوات على أفضل ما يرام ، أي أصبح الإنسان لا يرفع بلور السيارة ، هناك زر يكبسه فيغلق البلور ، الصعود للبيت بالمصعد ، كل شيء آلي ، الغسيل آلي ، هذا يسمونه حضارة ، لكن صار مع الحضارة كسل عضلي ، ترهل ، و أصبحت الصحة تتراجع .

أجدادنا كان عندهم جهد عضلي عال جداً ، فأسباب المرض الأولى كسل عضلي، مع شدة نفسية ، قلق ، خوف، حسد ، مطالب كثيرة ، دخول قليلة ، سيوف مسلطة فوق الإنسان في مجتمع الغاب ، في مجتمع التخلف، في مجتمع القهر ، هناك مخاوف ، ومقلقات، وهناك أشياء تسبب القلق الشديد ، كسل عضلي ، مع شدة نفسية وراء الأمراض وتفاقمها .

أنا باعتقادي أن الأمراض التي تعد ناتجة عن أسباب نفسية سببها شدة نفسية لا تعد ولا تحصى ، أمراض آلام العضلات ، القرحة ، لو ذهبت لأعدد لك الأمراض التي لها منشأ نفسي لا تعد ولا تحصى .

فلذلك الأسباب البعيدة للأمراض كسل عضلي ، راحة تامة ، استهلاك جهد الآخرين ، وشدة نفسية ، قلق ، خوف ، بل أنت من خوف الفقر في فقر ، وأنت من خوف المرض في مرض ، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها .

فمجتمع فيه قلق ، و فيه شرك ، وفيه بعد عن الله عز وجل ، لا يوجد به راحة نفسية ، هناك مقلقات ، أحياناً مقلقات عامة ، ساعة حصار ، وساعة عدوان ، وساعة اجتياح، وساعة احتلال أرض ، وساعة نهب ثروات ، هذه المقلقات العامة مع الكسل العضلي وراء الأمراض الكثيرة .

الأستاذ جميل :

دكتور ، في قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

(سورة الشعراء)

إشارة إلى أن الشفاء من عند الله عز وجل ، سؤال لماذا عُزي المرض إلى النفس ؟

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾

الأسباب البعيدة للصحة :

الدكتور راتب :

سأجيب عن هذا السؤال ، لكن فاتني أن أذكر للأخوة المشاهدين أن أحد أسباب الصحة التي يتمتع بها أجدادنا الجهد العضلي العالي ، حياتهم خشنة ، بيوتهم واسعة ، ليس هناك أشياء كلها جاهزة ، أوتوماتيك ، كلها يدوية ، الغسيل يدوي ، الحركة مجهدة ، فيبدو أن الجهد العضلي العالي الذي تمتع به أجدادنا ، مع الحب الذي كان بينهم ، والراحة النفسية ، والحياة البسيطة ، والتكاليف غير عالية جداً ، والمكاسب ميسرة ، والوئام والحب ، فالحالة النفسية الرائعة التي عاشها أجدادنا بسبب الدين ، بسبب الحب ، المحبة ، التواصل ، التراحم، وبسبب الحياة البسيطة الغير معقدة ، فهناك من يعزو أن أصحاب الصحة التي تمتع بها الأجداد لجهد عضلي عالٍ جداً، وراحة نفسية رائعة جداً .

أصل المرض من الإنسان :

أما سؤالك :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾

(سورة الشعراء)

الملمح الدقيق أنت لفت النظر إليه :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

هناك من يرى أن هذا الإنسان قال الله عز وجل :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾

(سورة التين)

هو مصمم ألا يمرض ، لو طبق الإنسان تعليمات الخالق في طعامه ، وفي شرابه، وفي كل حاجياته ، لنجا من المرض ، لكن هناك أخطاء في العصر ، مثلاً الطعام المعد سابقاً فيه مواد حافظة ، هذه مواد مسرطنة ، نحن حياتنا غير طبيعية ، طعامنا غير طبيعي ، المواد الدسمة غير طبيعية ، مهدرجة ، مهدرجة أي ذرات الدهون عالقة فيها ، وتترسب على جدران الشرايين ، فنحن عندنا خطأ في طعامنا ، خطأ في شرابنا ، فأكثر المشروبات كيماوية ، ونحن حينما نتقصى الشيء الطبيعي ، نتقصى ما هو فطري ، ننجو بصحتنا ، فالآية تشير إلى أن أصل المرض من الإنسان ،

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾

أصل المرض ، وقد يكون الأصل في العصر ، عصر الازدحام ، التلوث العام ، استخدام البلاستيك بشكل غير معقول ، مع المواد الحارة ، والمواد الحامضية ، ربما كان الخطأ في العصر ، بالأسمدة الكيماوية أيضاً ، بالهرمونات المسرطنة ، فكان تبديل خلق الله ، إعطاء النبات هرمونات مسرطنة ، المواد الحافظة مسرطنة ،

فلذلك كلمة

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾

إشارة قرآنية دقيقة جداً إلى أن أصل المرض هو خطأ من الإنسان ، والآية الأخرى تغطي هذا الخطأ ، يغيرون خلق الله .

الفروج أربعون يوماً لا ينام الليل ، لينمو سريعاً ، هو متوتر جداً ، فإذا أكله الإنسان أصبح متوتراً .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، كنا معكم أيها الأخوة في حديث حول الصحة ، وللحديث بقية إن شاء الله ، نترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (28-30) : علاقة الإنسان بصحته 2 : جانب الطب النفسي وعلاج الشرع لهذا الأمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة" .

ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هنالك من الأمراض والأوجاع ما يعزى سببه إلى النفس ، ومن الأمراض ما يكون أشد فتكاً وإيلاماً من الأمراض العضوية ، فهل لنا أن نتناول جانب الطب النفسي وعلاج الشرع لهذا الأمر ؟.

الإنسان عقل وقلب وجسم والقلب هو مركز النفس :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أستاذ جميل ، كلما تقدم الطب اكتشف أن هناك أمراضاً يزداد عددها يوماً بعد يوم ، تعزى أسبابها إلى حالة نفسية متردية ، فالإنسان عقل وقلب وجسم ، فالقلب مركز النفس ، فإذا كان هناك انهيار نفسي ، قلق مزمن ، خوف ، حقد ، هذه كلها لها منعكسات عضوية ، لأن الإنسان كلٌّ لا يتجزأ ، فإذا تراجعت نفسه وانهارت وعانت ما عانت فلا بدّ أن ينعكس هذا على الجسم .

أذكر أن مريضاً ذهب إلى بريطانيا لإجراء عملية قلب ، دخلت ممرضة لتنسيق الأزهار ، سألته دون أن تهتم بالإجابة : من طبيبك ؟ فقال لها : فلان ، قالت له : هذا الطبيب مستحيل أن يقبل ليس لديه وقت ، قال لها : لقد اتفق معي اتفاقاً قطعياً ، قالت له : هذا الطبيب أجرى عشرة آلاف عملية لم يخطئ في واحدة ، رأى في الفاتورة مبلغاً لرفع المعنويات قامت به هذه الممرضة ، فمعنى ذلك أن معنويات المريض تعينه على الشفاء ، والمعنويات المنهارة تعينه على المرض .

الأسباب النفسية وراء معظم الأمراض العضوية :

إذاً : يمكن أن يكون هناك طب نفسي ، فالخوف ، والقلق ، والحقد ، واليأس ، والإحباط ، هذه حالات نفسية صعبة جداً ، لها منعكسات جسمية ، فكلما تقدم الطب اكتشف أن هناك أسباباً نفسية تكون وراء معظم هذه الأمراض ، لذلك .

﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا ﴾

(سورة آل عمران الآية : 151)

فالرعب أحد أسباب الأمراض .

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

(سورة الشعراء)

الأستاذ جميل :

إذاً هي أخلاق مذمومة شرعاً تورث أمراضاً نفسية ؟.

المؤمن حينما يوحد الله ويستقيم على أمره يعيش حياة نفسية رائعة جداً تنعكس صحة :

الدكتور راتب :

طبعاً ، بالمناسبة حيث ما جاءت كلمة إنسان معرفة بأل في القرآن الكريم تعني الإنسان قبل .

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾

(سورة المعارج)

معنى هذا أن هناك أزمات نفسية طاحنة ، هناك حالات نفسية متردية جداً ، بسبب القلق ، والخوف ، والرعب ، واليأس ، والإحباط .

فالمؤمن حينما يوحد الله عز وجل ، ويستقيم على أمره ، ويصطلح معه ،عاش حياة نفسية رائعة جداً ، هذه تنعكس صحة ، تنعكس انخفاض ضغط ، تنعكس انتظام في ضربات القلب ، هناك حالات نفسية لها منعكسات عضوية .

الأستاذ جميل :

إذاً علامَ يرتكز الطب النفسي في الإسلام ؟ .

ارتكاز الطب النفسي في الإسلام على التوحيد :

الدكتور راتب :

والله أنا أرى . وهذا اجتهاد شخصي مني . أن الطب النفسي يرتكز على التوحيد ، فما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، أنت إذا أمنت بالله خالقاً ، ومربياً ، ومسيراً آمنت :

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾

(سورة الزخرف الآية : 84)

آمنت أنه :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

(سورة هود الآية : 123)

آمنت أنه :

﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

(سورة الزمر)

حقائق في التوحيد تعين على الصحة النفسية التي هي وراء صحة الجسد :

إذا آمنت أنه يحكم وحده :

﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾

(سورة الرعد الآية : 41)

وأنه :

﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً ﴾

(سورة الكهف)

إذا أمنت أنه :

﴿ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾

(سورة غافر الآية : 20)

أمنت أنه :

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة هود)

أنك إذا أمنت :

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

(سورة فاطر الآية : 2)

إذا أمنت أن :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

(سورة الرعد الآية : 11)

إذا أمنت أنه :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

(سورة النحل الآية : 97)

إذا أمنت :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(سورة الجاثية)

هذه كلها حقائق في التوحيد يمكن أن تعين على الصحة النفسية التي هي وراء صحة الجسد .

من لا يندم على ما فات ولا يخشى مما هو آت يحقق السلامة والسعادة لنفسه :

الله عز وجل يقول :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

(سورة فصلت الآية : 30)

أستاذ جميل ،

﴿ أَلَّا تَخَافُوا ﴾

متعلقة بالمستقبل ،

﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

متعلقة بالماضي ، فأنت حينما تصطلح مع الله وتستقيم على أمره ضمنت المستقبل .

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

(سورة التوبة الآية : 51)

من عطاء وخير ، وضمنت الماضي أنك لن تندم على شيء فاتك ، يروى أن سيدنا الصديق ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط ، لذلك هذا الذي لا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت ، حقق سلامة وسعادة كبيرة جداً .

الأحوال النفسية الراقية كلها تنعكس صحة على الجسم :

الحقيقة :

((مَن شَغَلَهُ قراءةُ القرآن عن مسألتي أعطيتُهُ أفضلَ مَا أُعْطِي السائلين))

[أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري]

هذا الإيمان يملأ النفس شعوراً بالأمن ، قال تعالى :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾

(سورة الأنعام)

لم يقل أولئك الأمن لهم ، إن قال الأمن لهم ولغيرهم ، أما :

﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ﴾

لهم وحدهم :

﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

(سورة الأنعام)

فلذلك قصية التوحيد ، قضية الصلح مع الله ، قضية الاستقامة على أمر الله ، قضية الإقبال على الله صحة ، الصحة بمعنى أنها تحقق سعادة نفسية ، وتوازناً ، وتماسكاً ، وصموداً ، وثقة ، وتفاؤلاً ، الأحوال النفسية الراقية كلها تنعكس صحة على الجسم .

الأستاذ جميل :

إذاً المرتكز الأقوى هو العلاج النفسي ، الطب النفسي ، والمرتكز الأقوى هو الإيمان بالله عز وجل .

الإيمان بالله وطاعته المرتكز الأول في الطب النفسي :

الدكتور راتب :

نعم ، المرتكز الأول في الطب النفسي الإيمان بالله وطاعته ، فالإنسان حينما يصلح من الداخل ، تصلح أعضاؤه من الخارج ، قالوا : إن ضغط الدم هو ضغط الهم ، المشكلة أن هناك ما يسمى بالسلامة ، وهناك ما يسمى بالأمن ، السلامة عدم وقوع مصيبة ، لكن لا يعني عدم وقوع مصيبة أن الإنسان آمن ، لأنه توقع المصيبة مصيبة أكبر منها ، وكما قلت سابقاً : أنت من خوف المرض في مرض ، أنت من خوف الفقر في فقر ، فلذلك الأمن غير السلامة ، الأمن عدم توقع المصيبة ، ما الذي يدعوك ألا تتوقع المصيبة ؟ قول الله عز وجل :

﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ﴾

الله عز وجل طمأنك ، قال :

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

(سورة طه)

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه .

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(سورة البقرة)

لا يندمون على ما مضى ، ولا يحزنون لما سيأتي ، فالحالة النفسية الناتجة عن الإيمان ، والطاعة ، والصلح مع الله ، والإقبال على الله ، ومحبة الله عز وجل ، هذه حالة مسعدة وراء الصحة الجيدة ، فلذلك الجسم كله يأتمر بخارج الجسم ، جهاز المناعة المكتسب تسيطر عليه القيادة ، و لكن القيادة لا تزال مجهولة ، هذه القيادة تقوي هذا الجهاز بالحب ، والود ، والرحمة ، وتضعف هذا الجهاز بالحقد ، والكراهية ، فالحقد والكراهية مرض ، أمراض الجسم الناتجة عن حالات النفس الصعبة لا تعد ولا تحصى ، أنا أقول دائماً : الإيمان صحة بالمعنى

المادي ، والتوحيد صحة ، وأن ترى أن الأمور كلها بيد الله ، وأن علاقتك مع جهة واحدة .

ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد :

النقطة الدقيقة جداً في الموضوع قال تعالى :

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ﴾

على لسان سيدنا هود :

﴿ ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة هود)

الموضوع أن هناك وحوشاً مخيفة ، لكنها مربوطة بأزمة محكمة ، بيد جهة قوية رحيمة ، عادلة ، محبة ، أنا علاقتي ليست مع الوحوش ، علاقتي مع من يملك أزمتها ، فإذا كنت على علاقة طيبة معه أبعدها عني ، فإذا ساءت علاقتي معه يسمح لهذه الوحوش أن تصل إليّ .

هذا ملخص الملخص ، لذلك قالوا : ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، الحديث عن الصحة المتعلقة بالصحة النفسية حديث ذو شجون ، الآن هناك من يقول : الذين يرتادون العيادات النفسية 150% بمعنى أن 100% يرتادون ، ونصفهم يرتاده مرة ثانية ، بسبب وضع العالم المتفجر ، العالم متقدم تقدماً مذهلاً تقنياً ، لكنه متخلف تخلفاً مذهلاً أخلاقياً واجتماعياً .

فالإنسان كان عنده رحمة وعطف ووفاء وحب ، الآن عنده مصالح ، كان يوجد قيم الآن مصالح ، كان هناك مبادئ الآن حاجات ، فلذلك حينما يسقط الإنسان يسقط مع سقوطه فتضعف نفسه ، ومع ضعف نفسه يضعف جسمه .

الشرك الناتج عن ضعف الإيمان وراء تفاقم الأمراض النفسية :

لذلك قالوا : إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال ، للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، أنا متأكد من أن صحة المؤمن تتميز عن صحة العاصي ،

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾

أستاذ جميل دقق ،

﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ ﴾

في حياتهم الدنيا ، حتى في صحتهم ، حتى في علاقاتهم ، مستحيل وألف ألف مستحيل أن تعصيه وتربح ، ومستحيل وألف ألف مستحيل أن تطيعه وتخسر ، وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟.

والله الذي قال : لو يعلم الملوك ما نحن عليه من السعادة لقاتلونا عليها بالسيوف .

الشرك الناتج عن ضعف الإيمان ، الشرك الخفي .

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

(سورة يوسف)

الشرك الناتج عن ضعف الإيمان وراء تفاقم الأمراض النفسية ، والتي بدورها تعين على تفاقم الأمراض العضوية.

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور وأحسن إليكم ، شكرا لكم أيها الأخوة ، على حسن متابعتكم ، ونترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

الدرس (29-30) : علاقة الإنسان بصحته 3 : فوائد الطب الوقائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ جميل :

السلام عليكم ورحمة الله، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة"، ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً وسهلاً بكم فضيلة الدكتور.

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاكم الله خيراً .

الأستاذ جميل :

دكتور الوقاية من المرض خير ألف مرة من علاج هذا المرض، لذا شرعنا بالحديث عن الطب الوقائي ما هو وما فائدته؟

الطب الوقائي سيد الطب لأن قوة الأمة بقوة أبنائها :

الدكتور راتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين، أستاذ جميل أحب أن أذكر الأخوة المشاهدين أنا في المحطة السابعة؛ محطة الصحة، وقد تحدثنا عن الطب الطبيعي، والطب النفسي، والطب الوقائي، موضوع هذه الحلقة، الحقيقة الطب الوقائي سيد الطب كله، لأنه كما يقول العوام: درهم وقاية خير من قنطار علاج، فلذلك الطب الوقائي سيد الطب كله، في الحقيقة أن تتلافى المشكلة أفضل بكثير من أن تحلها، يروى أن أحد الخلفاء سأل

رجلاً من دهاة العرب قال له:

ما بلغ من دهائك ؟ قال : والله ما دخلت مدخلاً إلا أحسنت الخروج منه، فقال له: يا عمرو لست بداهية ، أما أنا والله ما دخلت مدخلاً أحتاج أن أخرج منه.

إذاً الطب الوقائي سيد الطب كله، فالأمة قوتها بقوة أبنائها، قوتها بدخلهم، فإذا كان معظم الناس في أمراض كثيرة هم عاطلون عن العمل، هم عالة على غيرهم، وأن الأموال الطائلة التي يمكن أن تنفق بالمعالجة قد تعيق تقدم الأمة، عرفنا ما دور الطب الوقائي في نهضة الأمة.

الأستاذ جميل :

دكتور صور الطب الوقائي كثيرة، لعل منها عناية الشرع بالطهارة، أي النظافة بمفهومها العام، فكيف هو النظر في الطب الوقائي لهذه العبادة؟

العالم الإسلامي بسبب الأوامر الشرعية التي تحض على النظافة معافى من الأمراض :

الدكتور راتب :

أنا مرة قرأت: إن هناك ثلاثمئة مليون مريض في العالم بسبب القذارة، وإن العالم الإسلامي بسبب الأوامر الشرعية الكثيرة التي تحض على النظافة معافى من هذه الأمراض في مجملها، يسمى العالم الإسلامي في هذه الموضوعات الشريط الأخضر، لأن هناك وضوء، وطهارة، وإلحاح على النظافة، ويكفي أن الله عز وجل يقول:

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 222]

الحقيقة لبعض العلماء الكبار فهم دقيق لهذه الآية، هذا الفهم الدقيق أربعة أنواع، أول فهم: تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث، أي النظافة المادية، جسم نظيف، اغتسال، وضوء، طهارة.

المعنى الثاني: تطهير الجوارح عن المعاصي والآثام، أيضاً هذه طهارة.

والمعنى الثالث: تطهير النفس عن الأخلاق المذمومة، والرذائل الممقوتة.

والمعنى الرابع: تطهير القلب عما سوى الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، لكن من بعض التوجيهات الخاصة توجيه:

((بركة الطعام الوُضُوء قبلَه ، والوضوء بعدَه))

[أبو داود و الترمذي عن سلمان الفارسي]

أي غسل اليدين هو وضوء الطعام، هذه اليد قد أمسكت بحذاء، قد أمسكت بمسكة ملوثة، قبل أن تأكل اغسل يديك:

((بركة الطعام الوُضُوء قبلَه ، والوضوء بعدَه))

[أبو داود و الترمذي عن سلمان الفارسي]

النظافة فرض لأول عبادة في الإسلام :

الآن حق الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً، هذا في شح المياه، الأولى أن يغتسل كل يوم، حقّ الله على كل مسلم كحد أدنى أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسمه، لذلك جعلت النظافة فرضاً لأول عبادة في الإسلام:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾

[سور المائدة الآية : 6]

الحقيقة هذا الدين العظيم الذي يحض على النظافة، والمقولة الشهيرة: "النظافة من الإيمان"، والمطلق على إطلاقه نظافة الجسم، نظافة الجوارح، نظافة النفس، نظافة القلب.

الأستاذ جميل :

أستاذنا الكريم إذا ذكرنا الطهارة يتطهر المسلم لأداء عبادة مثلاً الصلاة، هل شعيرة الصلاة أيضاً من ملامح وقائية علاوة على كونها عبادة خالصة لله؟

الأوامر الإلهية لها أهداف لا تعد ولا تحصى :

الدكتور راتب :

كلنا يعلم أن هناك ما يسمى بالرياضة السويدية، تمرينات رياضية تحرك كل العضلات، الشيء الذي يلفت النظر أن هناك تدريبات من اختراع السويديين تصلح لكل الناس صغاراً وكباراً، شيوخاً وأطفالاً، نساءً ورجالاً، مقيمين ومسافرين، هذه التمرينات الرياضية حينما درست دراسة موضوعية فوجئ الدارس أنها مطابقة لحركات الصلاة تماماً، وكأن الصلاة رياضة يومية، يقوم بها المسلم في اليوم خمس مرات، يقف، يركع، يسجد، لو أحصينا العضلات التي تتحرك من خلال حركات الصلاة لوجدنا أن هذه الحركات تطابق التدريبات الرياضية التي وضعها الخبراء، وقد قلت في لقاء سابق: إن الأوامر الإلهية لها أهداف لا تعد ولا تحصى.

بالمناسبة الصلاة عبادة، والذي يصلي من أجل صحة جسمه لا يصلي، لا تسمى هذه صلاة إطلاقاً، نقول: أنت حينما تؤدي فريضة وتصلي هناك نتائج جانبية تنتفع بها، فهي رياضة متوازنة معتدلة، صالحة لكل الأعمار والأجناس، والأقاليم والبيئات، وما شاكل ذلك، لذلك هناك نقطة دقيقة؛ انخفاض الرأس في السجود والركوع يؤدي إلى هجوم الدم إلى أوعية الدماغ، ومع رفع الرأس يعود إلى ما كان عليه، من ازدياد ضغط الدم في الأوعية ونقص هذا الضغط عند الرفع ينشأ من هذا ما يسمى بمرونة أوعية الدماغ، وهذه الأوعية حينما تكون مرنة قد تتحمل الضغط المرتفع، بينما الذي لا يصلي الأوعية غير مرنة، فلو ارتفع الضغط فجأة ربما كان هناك انفجاراً في بعض الأوعية يسبب خثرة في الدماغ، هذا بحث طبي قرأته أن حركة الصلاة؛ ركوع سجود رفع، أي من ازدياد الضغط ونقص الضغط بشكل مستمر هذا يحقق مرونة بالوعاء، هذه المرونة تقي انفجار الأوعية عند ارتفاع الضغط أو تقي من خثرات الدماغ.

الأستاذ جميل :

أستاذنا الكريم الإسراف وأثره السلبي على الصحة.

الإسراف وأثره السلبي على الصحة :

الدكتور راتب :

الحقيقة الآية الكريمة:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

[سورة الأعراف الآية : 31]

قد يقول قائل: لمَ لم تكن لا تسرفوا في الطعام والشراب؟ أراد الله أن ينهانا عن أن نسرف في الطعام والشراب، لكن نهانا عن كل أنواع الإسراف في كل المباحات، أقول: المباحات، المؤمن مستقيم حتى في المباحات ينبغي ألا يسرف، لأن هناك مقولة لطيفة: إن عشر ما نأكله يكفي لبقائنا أحياء، وتسعة أعشار ما نأكله يكفي لبقاء الأطباء أحياء، الاعتدال في الطعام والشراب صحة، لكن طبيعة الحياة، الضغوط الشديدة، ضعف الرياضة، عدم المشي، يؤدي إلى أمراض كثيرة، فلابدّ من حركة يومية، لابدّ من تدريبات رياضية، هذا كله له آثار إيجابية في صحة الجسم، على كلٍّ قال تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾

[سورة الأعراف الآية : 31]

في الحديث الصحيح:

((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم ثلاث أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث لنفسه))

[أخرجه الحاكم عن المقدام بن معد يكرب]

لذلك طبيب في دمشق من ثلاثين عاماً يؤمن أنه: اشرب متى تشاء، واشرب بالقدر الذي تشاء، ولو مع الطعام، وكان يخالف كل زملائه في كلية الطب، اعتماداً على هذا الحديث قبل سنتين أو ثلاثة ظهرت دراسة عميقة جداً تبيح للإنسان أن يشرب ما يشاء، ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه.

الاعتدال في الطعام والشراب أحد أكبر أسباب نجاح الطب الوقائي :

إذاً: أيضاً موضوع الاعتدال في الطعام والشراب أحد أكبر أسباب نجاح الطب الوقائي، هناك كلام دقيق، نعم الإدام الجوع، إذا سمعت كلمة نعم الإدام فتظن أن نعم الإدام اللحم ، الخضار، الفواكه، نعم الإدام الجوع، حالة الآكل إذا كان جائعاً ينتفع بالطعام، أما حينما يأكل يدخل الطعام على الطعام، عندئذ ليس هناك جوع، إذاً الهضم غير كامل، أي عدم تناول الطعام بين الوجبات، هذا من أنواع الاعتدال في تناول الطعام والشراب، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع.

الحقيقة موضوع التوجيهات الصحية دقيق جداً، وما دمنا في الطب الوقائي هناك ملاحظة دقيقة، في بعض المدن الإسلامية خمسمئة ألف مريض سكري، وهذه الأمراض تتطور إلى فشل كلوي، وإلى فقد بصر، وإلى شلل، أما في البلاد التي فيها وعي طبي، وعي وقائي، أربعة بالمئة تتطور هذه الأمراض عندهم إلى فشل كلوي، وإلى شلل، وإلى فقد بصر، وفي بعض البلاد النامية أربعة وخمسون بالمئة تتطور هذه الأمراض عندهم إلى فشل كلوي، وإلى شلل، وإلى فقد بصر، فلذلك الوعي مهم جداً جداً جداً في الوقاية من الأمراض، وعلى ذلك فقس، هناك بحث طويل جداً عن الأمراض التي يمكن أن يتلافاها الإنسان لو كان واعياً لشؤون صحته.

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

شكراً لكم فضيلة الدكتور، أحسن الله إليكم، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة، نترككم بأمان الله وحفظه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (30-30) : علاقة الإنسان بصحة 4 : الطبي العلاجي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الأستاذ جميل :

السلام عليكم ورحمة الله، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج: "الإسلام منهج حياة"، ضيف البرنامج هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً وسهلاً بكم فضيلة الدكتور.

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاكم الله خيراً.

الأستاذ جميل :

تحدثنا عن الطب الطبيعي، والطب النفسي، والطب الوقائي، فإذا وقع المرض العضوي فهل من عناية للشرع به أيضاً، وعلى ماذا يبنى الطب العلاجي؟ على أي كلية من كليات الدين؟

انطلاق الطب العلاجي من أن الله عز وجل خلق لكل داء دواء :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن الطب العلاجي ينطلق أن الله عز وجل خلق لكل داء دواء، علمه من علمه وجهله من جهله، وأن الله عز وجل ما أنزل داء إلا وأنزل له شفاء، من هذا المنطلق ومن منطلق عقدي هو أن المؤمن عليه أن يأخذ بالأسباب، عليه أن يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ثم يتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، فكأن المؤمن الصادق، المستقيم، الواعي، يمشي بطريق عن يمينه واد سحيق، وعن يساره واد سحيق، إن أخذ بالأسباب، وألهها، واعتمد عليها، ونسي الله، وقع في وادي الشرك، وإن لم يأخذ بها، وتواكل على الله تواكلاً ساذجاً، وقع في

وادي المعصية، وكأني بالعالم الغربي أخذ بالأسباب بأعلى مستوى، واعتمد عليها، وألهها، ونسي الله، وكأني بالعالم الشرقي لم يأخذ بها أصلاً، فالأول وقع في الشرك، والثاني وقع في المعصية، والبطولة والكمال والمنهج القويم أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء وأن تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، دائماً التطرف سهل، أن تأخذ بالأسباب وحدها القضية سهلة جداً، أو ألا تأخذ بها أسهل، أما حينما تأخذ بها تأدباً مع الله، وطاعة له، حينما تتوكل على الله ثقةً به، مثلاً في سفر راجعت المركبة مراجعة تامة، ومن أعماق أعماق أعماقك تقول: يا رب أنت الحافظ، أنا أخذت بالأسباب بقي أن تحفظني، فهذا الموقف التي تنطلق منه المعالجة، ما دام الله عز وجل لم ينزل داءً إلا وأنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله.

((تداووا عباد الله))

[أخرجه الحاكم عن أسامة بن شريك مرداس الأسلمي]

التداوي يرقى إلى مستوى الواجب إلا في حالات نادرة :

التداوي يرقى إلى مستوى الواجب، لكن لئلا نقع في مبالغة لو أن الإنسان توقف دماغه، وصار التخطيط خطاً مستقيماً، لكن يمكن أن يعمل قلبه بآلة، هناك فتوى بإيقاف الآلة أحياناً هناك نفقات فوق طاقة كل من حول المريض، ولا جدوى من حياته، وقد انتهت حياته بموت الدماغ، لكن المرأة التي كانت تصاب بالصرع، وسألت النبي عليه الصلاة والسلام أن يدعو لها فقال لها عليه الصلاة والسلام: "إما أن تصبري وإما أن أدعو لك"، فاستنبط العلماء من هذا أن هناك حالات معينة قد يكون ثمن الدواء فوق طاقة كل من حول المريض، أحياناً زراعة كبد تحتاج إلى ملايين مملينة، إلى عشرة ملايين والأب فقير، في هذه الحالة ليس مكلفاً أن يعطل دخول كل من حوله، هذه حالات أفتى بها العلماء، أما التهاب الزائدة، المعالجة واجبة، السبب أن العملية سهلة، والنفقات مقدور عليها، وأنت ملك أولادك، وملك أهلك، وملك أمتك، إذاً هناك حالات كثيرة جداً بل في معظم الحالات ترقى المعالجة إلى مستوى الواجب، وقد ترقى إلى مستوى الفرض حفاظاً على حياتك، وعلى نشاطك، وعلى أداء عباداتك، وعلى خدمة أمتك.

موضوع التداوي يغلب على الظن أنه واجب، وهناك حالات نادرة جداً قد تكون واحدة بالمليار وهي حالات استثنائية يعفى الإنسان من هذا، أما العلاج يرقى إلى مستوى الواجب لأن الله عز وجل ما أنزل داءً إلا وأنزل له شفاء.

الحديث التالي يحث الأطباء على متابعة البحث ويطمئن المرضى :

النقطة الدقيقة جداً أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال:

((إنَّ لكلِّ دَاء دَوَاءً))

[أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله]

إذا سمع هذا الحديث طبيب و كان عنده إنسان مصاب بمرض ليس له دواء يشعر بالتقصير، وكأن هذا الحديث يدفعه للبحث عن دواء، لأن النبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى،

((لكلِّ دَاء دَوَاءً))

أما إذا سمع هذا المريض هذا الحديث يمتلئ ثقةً بالله عز وجل، معنى هذا مرضه له دواء، هذا الحديث يحث الأطباء على متابعة البحث، ويطمئن المرضى، إلا أن هناك استثناء واحداً أن مرض الموت لا شفاء له، يتفاقم، هو بوابة خروج، الإنسان كيف يغادر الدنيا؟ بأحد الأمراض،

((لكلِّ دَاء دَوَاءً))

إلا مرض الموت، على كلٍّ:

إن الـطبيب له علم يدل به إن كان للناس في الآجال تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب وخانته الـعقاقير

* * *

الشفاء يحتاج إلى الأخذ بالأسباب وإلى الاعتماد على ربّ الأرباب :

((إنَّ لكلِّ دَاء دَوَاءً، فإذا أُصِيبَ دواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذن الله))

[أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله]

ماذا يعني؟ لا سمح الله ولا قدر مرض الابن تأخذه إلى أفضل طبيب أخذاً بالأسباب، وتشتري له الدواء الجيد، تشرف بنفسك على إعطاء الدواء، أخذت بالأسباب، الآن:

((بَرَأَ بإذن الله))

توجه بالدعاء إلى الله عز وجل، هذا الكلام دقيق، الشفاء يحتاج إلى الأخذ بالأسباب وإلى الاعتماد على رب الأرباب، فهناك جانب دعائي.

الأستاذ جميل :

دكتور الإيمان بالقضاء والقدر هو تسليم بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، هل من تعارض بين هذا الإيمان والتسليم وبين البحث عن علاج والسعي إلى الأطباء؟

عدم التعارض بين الإيمان بالله والتسليم بقضائه و قدره :

الدكتور راتب :

بالعكس، حينما تأخذ بالأسباب من قضاء الله وقدره، إنسان عنده غنم، وهناك أرض مجدبة إن رعى الأغنام في هذه الأرض لا شيء عليه، هذا من قضاء الله وقدره، وإن رعاها في الأرض الخصبة أيضاً هذا من قضاء الله وقدره، فنحن إذا قصرنا أو إذا فعلنا كله من قضاء الله وقدره، فليس هناك داع أن نقول: هناك تناقض بين أخذ الدواء والإيمان بالقضاء والقدر، الإيمان بالقضاء والقدر كما قيل يذهب الهم والحزن، أنت حينما تأخذ بكل الأسباب وعندئذ لا تجد النتائج فمعنى هذا قضاء وقدر، آخذ بالأسباب وكأنها كل شيء وأتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، سيدنا عمر حينما كان على مشارف الشام، وسمع أن فيها طاعوناً فلم يدخل، فقال له بعضهم من

قضاء الله؟ قال: نعم، أفر من قضاء الله إلى قضاء الله.

الإنسان حينما يزداد وعيه يتحسن الوضع العام للأمة :

هناك نقطة مهمة جداً أن النبي عليه الصلاة والسلام لأنه لا ينطق عن الهوى أول من ذكر أن هناك من يحمل المرض، فإذا كنتم في بلد فيها طاعون فلا تخرجوا منها، هناك من يحمل هذا المرض وليس مريضاً، وهذا إذا انتقل إلى بلد آخر ينقل المرض، أما حينما قال النبي عليه الصلاة والسلام: "لا عدوى" ، لا عدوى حينما يتفهم الجاهل أن هذا الإنسان أصابه المرض، لا هو مرض بقضاء الله وقدره، حتى لا تنشأ أحقاد، لا عدوى من حيث أن الله سمح لهذا الجرثوم أن ينتقل من فلان إلى فلان، لكن في النهاية هو الذي أشار إلى أن هناك إنسان يحمل هذا المرض ولا يمرض.

نحن عندنا مثل بسيط، مرض اسمه التليسيميا، فإذا كان الإنسان يحمل هذا المرض وتزوج امرأة لا تحمل هذا المرض، يعيش حياة سليمة رائعة لا شيء فيها، أما إذا كان إنساناً يحمل هذا المرض، وتزوج امرأة تحمل هذا المرض حتماً عنده ابن مصاب بهذا المرض، أضرب لك مثلاً بسيطاً، بلد يقدر عدد سكانه بعشرين مليوناً، هناك ألفا حالة، هذه الحالات تقتضي تبديل دم كل أسبوعين، كلفة معالجة الابن المصاب بهذا المرض قريباً من مئة وستين ملياراً وينتهي بالموت، في بلد سبعون مليوناً هناك أربع حالات فقط، قضية وعي، نحن بحاجة إلى وعي، لو أن الإنسان قبل أن يزوج ابنته طلب تقريراً طبياً، كأن الناس يستحون بهذا التقرير، فإذا كانت البنت مصابة كزوجها هناك مشكلة كبيرة، لذلك الإنسان حينما يزداد وعيه يتحسن الوضع العام للأمة، أنا أرى أن الدول النامية فوق أنها نامية وفوق أنها فقيرة عندها ضعف بالوعي كبير جداً، هذا الذي يسبب أن معظم الأمراض تتفاقم عندهم.

مرة كنت في أمريكا زرت طبيباً فوجدت أن العيادة ممتلئة، توهمت أنهم مرضى، لا، إنهم يجرون تحليلات دورية، الإنسان مع ازدياد الوعي يعمل تحليلات مستمرة، لأن أي مرض حينما يظهر في وقت مبكر جداً يسهل علاجه.

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب و يهيئ الظروف :

أنا أقول: الطب العلاجي أساسه الأخذ بالأسباب،والتوكل على رب الأرباب، عليكم بالكيس، خذ بالأسباب، وهيئ الظروف.

((عليكم بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل))

[أبو داود وأحمد عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ]

لأن الإنسان حينما يأخذ بالأسباب قد تحقق هذه الأسباب النتائج، أما إذا كان لله مشيئة خاصة مع أنه أخذ بها النتائج لم تحقق، هذا قضاء وقدر، عندئذ هو يرضى بالقضاء والقدر.

الأستاذ جميل :

دكتور في عجالة من الذي يتصدى لعلاج الناس؟ وهل يقبل شرعاً أن يتقول أحد في الطب من غير علم ودراية؟

من طبب من غير علم و دراية فهو ضامن وسيدفع الثمن باهظاً :

الدكتور راتب :

والله حديث مذهل:

((مَنْ تَطَبَّبَ ولا يُعْلَمُ منه طِبّ، فهو ضامِن))

[أخرجه أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

مسؤول وسيدفع الثمن باهظاً، وسيدفع التعويض.

في انتهاء هذه الحلقة الأخيرة من المحطة السابعة محطة الصحة، نكون قد أنهينا هذا البرنامج الذي انطلق من أن الإسلام منهج حياة، انطلق من محطات كثيرة وانتهينا بمحطة الصحة، وأرجو الله عز وجل للأخوة المشاهدين تمام الصحة والعافية.

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور نشكر لكم جهودكم، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة، نترككم بأمان الله وحفظه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الدرس (01-30) : علاقة الإنسان بمن حوله 1 1

الدرس (02-30) : علاقة الإنسان بمن حوله 2 7

الدرس (03-30) : علاقة الإنسان بالله 1 : الأمانة 14

الدرس (04-30) : علاقة الإنسان بالله 2 : مقومات حمل الأمانة – الكون والعقل والفطرة 24

الدرس (05-30) : علاقة الإنسان بالله 3 :. مقومات التكليف 32

الدرس (06-30) : علاقة الإنسان بالله 4 : السبيل إلى تطبيق منهج الله 39

الدرس (07-30) : علاقة الإنسان بأسرته 1 : وصف الأسرة في القرآن الكريم 47

الدرس (08-30) : علاقة الإنسان بأسرته 2 : توجيهات القرآن الكريم للزوجين 55

الدرس (09-30) : علاقة الإنسان بأسرته 3 : معالجة إشكالية الشقاق الزوجي 63

الدرس (10-30) : علاقة الإنسان بأسرته 4 : المنهج الإسلامي في حلّ المشكلات الأسرية 70

الدرس (11-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 1 : المجتمع مبني على الأفراد 78

الدرس (12-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 2 : الأخوة 88

الدرس (13-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 3 : سلوكيات تضعف العلاقة بين المسلمين 98

الدرس (14-30) : علاقة الإنسان بعامة الناس 4 : كيف علم النبي الصحابة الأخوة ؟ 109

الدرس (15-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 1 : ما هو المبدأ الأساس الذي ينطلق منه الإنسان في حياته؟..... 117

الدرس (16-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 2 : ما هو معنى الجهاد ؟ 125

الدرس (17-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 3 : من هو الذي يحظى بنصر الله؟ 133

الدرس (18-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 4 : هل حالة الذل مستمرة وهل مد الطغاة إلى ما لا نهاية؟.....141

الدرس (19-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 5 : من هو المسؤول عن الدعوة إلى الله ؟ 148

الدرس (20-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 6 : دور الأمر بالمعروف والالتزام بما ندعو إليه 156

الدرس (21-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 7 : قواعد وأسس الدعوة إلى الله 1 162

الدرس (22-30) : علاقة الإنسان بالشأن العام 8 : قواعد وأسس الدعوة إلى الله 2 168

الدرس (23-30) : علاقة الإنسان بعمله 1 : خصائص الاقتصاد الإسلامي 175

الدرس (24-30) : علاقة الإنسان بعمله 2 ، لماذا صنف الفقهاء بحث الزكاة وعدوه في العبادات وليس المعاملات ؟.....182

الدرس (25-30) : علاقة الإنسان بعمله 3: لماذا الوقت هو أهم عامل من عوامل إثراء الاقتصاد ؟..191

الدرس (26-30) : علاقة الإنسان بعمله4 : ما هو دور التعاون في حياة المسلم وما هي النصوص الداعمة لذلك ؟ 199

الدرس (27-30) : علاقة الإنسان بصحته 1 : كيف عني الإسلام بالحياة من جانب الصحة ؟ 207

الدرس (28-30) : علاقة الإنسان بصحته 2 : جانب الطب النفسي وعلاج الشرع لهذا الأمر 215

الدرس (29-30) : علاقة الإنسان بصحته 3 : فوائد الطب الوقائي 226

الدرس (30-30) : علاقة الإنسان بصحة 4 : الطبي العلاجي 233